

الغزلية واليلية



العاشق والمعشوق

الفليحة ووليحة

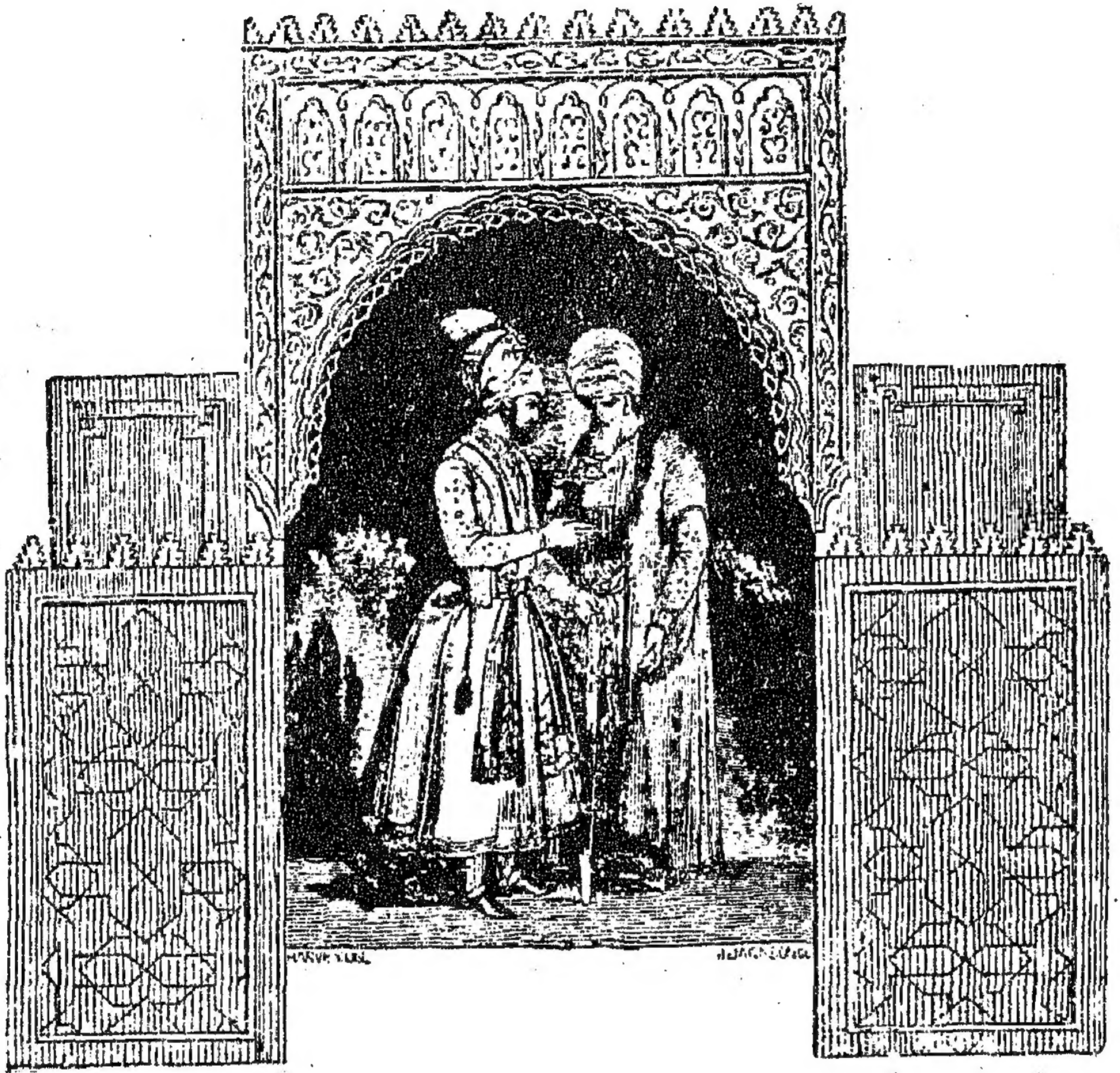
٨

العاشق والمعشوق

راجعها

سعيد جوده السحار عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل ممداني - أيجال



حكاية العاشق والمعشوق (١)

اعلم أيها الملك السعيد، أنه كان في سالف الزمان، مدينة وراء جبال
أصفهان، يقال لها المدينة الخضراء؛ وكان بها ملك يقال له الملك سليمان،

(١) هذه القصة كانت مقحمة في قصة « عمر النعمان » فزادتها طولا وقد
فصلناها عنها بلياليها التي تخصها لتكون قصة « عمر النعمان » التي ستقع في أكثر من
٢٠٠ صفحة قائمة بذاتها .

وكان صاحب جود وإحسان ، وعدل وأمان ، وفضل وامتنان ، وسارت إليه الركبان من كل مكان ، وشاع ذكره في سائر الأقطار والبلدان ؛ وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان ، وهو في عز وأمان . إلا أنه كان خاليا من الأولاد والزوجات ، وكان له وزير يقاربه في الصفات ، من الجود والهبات .

فاتفق أنه أرسل إلى وزيره يوما من الأيام ، وأحضره بين يديه ، وقال له : يا وزيرى ، إنه ضاق صدرى ، وعيل صبرى ، وضعف منى الجلد ، لكونى بلا زوجة ولا ولد . وما هذا سبيل الملوك ، الحكام على كل أمير وصعلوك ؛ فإنهم يفرحون بخلفة الأولاد ، وتتضاعف لهم بهم الأعداد ؛ وقد قال النبى ﷺ : (تناكحوا تناسلوا تكثروا ، فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة) . فما عندك من رأى أيها الوزير ؟ فأشر على بما فيه النصيح والتدبير .

فلما سمع الوزير هذا الكلام ، فاضت الدموع من عينيه بالانسجام ، وقال : هيهات يا ملك الزمان ، أن أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن . أتريد أن أدخل النار ، بسخط الملك الجبار ؟

فقال له الملك : اعلم أيها الوزير أن الملك إذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ، ولا يعرف نسبها ، فهو لا يدرى خساسة أصلها يجتبها ، ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها . فإذا أفضى إليها ربما حملت منه ، فيجىء الولد منافقا ، ظالما ، سفاكا للدماء ؛ ويكون مثلها مثل الأرض السبخة ، إذا زرع فيها زرع فإنه يخبت نباته ، ولا يحسن ثباته . وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ، ولا يفعل ما أمره به ، ولا يجتنب ما عنه نهاه . فأنا لا أتسبب فى هذا بشرأ جارية أبدا ، وإنما مرادى أن تخطب لى بنتا من بنات ملوك ، يكون نسبها معروفا ، وجمالها موصوفا ؛ فإن دللتنى على ذات

النسب والدين، من بنات ملوك المسلمين، فإني أخطبها وأتزوج بها على رءوس الأشهاد، ليحصل لي بذلك رضا رب العباد.

فقال له الوزير: إن الله قضى حاجتك، وبلغك أمنيته.

فقال له: وكيف ذلك؟

فقال له: أعلم أيها الملك أنه بلغني أن الملك زهر شاه، صاحب الأرض البيضاء، له بنت بارعة الجمال، يعجز عن وصفها القليل والقال، ولم يوجد لها في الزمان مثال، لأنها في غاية الكمال، قوينة الاعتدال، ذات طرف كحيل، وشعر طويل، وخصر نحيل، وردف ثقيل؛ إن أقبلت فتنت، وإن أدبرت قتلت؛ تأخذ القلب والناظر، كما قال الشاعر:

هيفاء يُخجل غصنَ البان قامتها

لم يَحْكِ طلعتها شمس ولا قمر

كأنما ريقها شهد وقد مُزجت

به المدامة لكن ثغرها درر

ممشوقة القصد من حور الجنان لها

وجه جميل وفي الحاظها حور

وكم لها من قتل مات من كمد

وفي طريق هواها الخوف والخطر

إن عشت فهي المنى ما شئت أذكرها

أو مت من دونها لم يُجِدْنِي العُمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية، قال للملك سليمان شاه:

الرأى عندي أيها الملك أن ترسل إلى أبيها رسولا، فطنا خبيرا بالأمر،

مجربا لتصرف الدهور، ليتلطف في خطبتها لك من أبيها، فإنها لا نظير لها

في قاصي الأرض ودانيها، وتحظى منها بالوجه الجميل، ويرضى عليك الرب

الجليل ؛ فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : (لا رهبانية في الإسلام) .
فعند ذلك توجه إلى الملك كمال الفرح ، واتسع صدره وانشرح ، وزال
عنه الهم والغم ، ثم أقبل على الوزير وقال : اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه لهذا
الأمر إلا أنت ، لكمال عقلك وأدبك ، فقم إلى منزلك ، واقض أشغالك ،
وتجهز في غد ، واخطب لي هذه البنت التي شغلت بها خاطري ، ولا تعد
لي إلا بها .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم إن الوزير توجه إلى منزله ، واستدعى الهدايا التي تصلح للملوك :
من ثمن الجواهر ، ونفيس الذخائر ، وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل ،
وثقيل في الثمن ؛ ومن الخيل العربية ، والدروع الداوودية ، وصناديق
المال ، التي يعجز عن وصفها المقال ؛ ثم حملوها على البغال والجمال ،
وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة جارية ، وانتشرت على رأسه الرايات
والأعلام ، وأوصاه الملك أن يأتي إليه في مدة قليلة من الأيام . وبعد توجهه
صار الملك سليمان شاه على مقالي النار ، مشغولا بها في الليل والنهار .
وسار الوزير ليلا ونهارا ، يطوى برارا وقفارا ، حتى بقى بينه وبين
المدينة التي هو متوجه إليها يوم واحد . ثم نزل على شاطئ نهر ، وأحضر
أحد خواصه ، وأمره أن يتوجه إلى الملك زهر شاه بسرعة ، ويخبره بقدومه
عليه .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم توجه بسرعة إلى تلك المدينة ، فلما قدم عليها ، وافق قدومه أن الملك
زهر شاه كان جالسا في بعض المتنزهات قدام باب المدينة ، فراه وهو
داخل ، وعرف أنه غريب ، فأمر بإحضاره بين يديه . فلما حضر الرسول ،
أخبره بقدوم وزير الملك الأعظم سليمان شاه ، صاحب الأرض الخضراء

وجبال أصفهان ؛ ففرح الملك زهر شاه ، ورحب بالرسول ، وأخذه وتوجه إلى قصره ، وقال له : أين فارقت الوزير ؟

فقال : فارقته على شاطئ النهر الفلاني ، وفي غد يكون واصلا إليك ، وقادما عليك ، أدام الله نعمته عليك ، ورحم والديك .

فأمر زهر شاه بعض وزرائه ، أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ، ويخرج بهم إلى مقابله ، تعظيما للملك سليمان شاه ، لأن حكمه نافذ في الأرض .

هذا ما كان من أمر الملك زهر شاه .

وأما ما كان من أمر الوزير ، فإنه استقر في مكانه إلى نصف الليل ، ثم رحل متوجها إلى المدينة . فلما لاح الصباح ، وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح ، لم يشعر إلا ووزير الملك زهر شاه وحجابه ، وأرباب دولته وخواص مملكته ، قدموا عليه ، واجتمعوا به ، على فراسخ من المدينة . فأيقن الوزير بقضاء حاجته ، وسلم على الذين قابلوه . ولم يزالوا سائرين قدامه ، حتى وصلوا إلى قصر الملك ، ودخلوا بين يديه في باب القصر إلى سابع دهليز ، وهو المكان الذي لا يدخله الراكب ، لأنه قريب من الملك . فترجل الوزير ، وسعى على قدميه ، حتى وصل إلى إيوان عال ، وفي صدر ذلك الإيوان سرير من المرمر ، مرصع بالدر والجوهر ، وله أربع قوائم من أنياب الفيل ؛ وعلى ذلك السرير مرتبة من الأطلس الأخضر ، مطرزة بالذهب الأحمر ، ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر ، والملك زهر شاه جالس على ذلك السرير ، وأرباب دولته واقفون في خدمته .

فلما دخل الوزير عليه ، وصار بين يديه ، ثبت جنانه ، وأطلق لسانه ، وأبدى فصاحة الوزراء ، وتكلم بكلام البلغاء .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن وزير الملك سليمان شاه ، لما دخل على الملك زهر شاه ، ثبت جنانه ، وأطلق لسانه ، وأبدى فصاحة الوزراء ، وتكلم بكلام البلغاء ، وأشار إلى الملك بلطف التفات ، وأنشد هذه الأبيات :

وإني وأقبل في الغلائل ينثني
يولي الندي للمجتبي والمجتبي
ورقي فما تُغني التمام والرقى
والسحر من لحظات تلك الأعين
قل للعواذل لا تلوموا ، إنني
طول المدى عن حبه لا أنثني
حتى فؤادي خائني ووفى له
وكذا الرقاد صبا إليه وملني
يا قلب ما أمسيت وحدك رافة
فامكث لديه وإن تكن أوحشتني
لا شيء يَطرب مسمعي بسماعه
إلا الشاء لزهر شاه أجتني
ملك إذا أنفقت عمرك كله
في نظرة من وجهه أنت الغني
وإذا انتخبته له دعاء صالحا
لم تلق غير مشارك ومؤمن



فلما بلغ الوزير من هذا النظام ، قر به الملك زهر شاه وأكرمه غاية الإكرام ، وأجلسه بجانبه ، وتبسم في وجهه ، وشرفه بلطف الكلام . ولم يزل على ذلك إلى وقت الصباح ، ثم قدموا السماط في ذلك الإيوان ، فأكلوا جميعا حتى اكتفوا ، ثم رفع السماط ، وخرج كل من في المجلس ، ولم يبق إلا الخواص ، فلما رأى الوزير نخلو المكان ، نهض قائما على قدميه ، وأثنى على الملك ، وقبل الأرض بين يديه ، ثم قال : أيها الملك الكبير ،

والسيد الخطير ، إني سعت إليك ، وقدمت عليك ، في أمر لك فيه
الصلاح ، والخير والفلاح ؛ وهو أني قد أتيتك رسولا خاطبا ، وفي بنتك
الحسبية النسبية راغبا ، من عند الملك سليمان شاه ، صاحب العدل
والأمان ، والفضل والإحسان ، ملك الأرض الخضراء وجبال أصفهان ؛
وقد أرسل إليك الهدايا الكثيرة ، والتحف الغزيرة ، وهو في مصاهرتك
راغب ، فهل أنت له كذلك طالب ؟

ثم إنه سكت ينتظر الجواب . فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام ،
نهض قائما على الأقدام ، ولثم الأرض باحتشام ؛ فتعجب الحاضرون من
خضوع الملك للرسول ، واندبهشت منهم العقول . ثم إن الملك أثنى على
ذی الجلال والإكرام ، وقال وهو في حالة القيام : أيها الوزير المعظم ،
والسيد المكرم ، اسمع ما أقول ؛ إننا للملك سليمان شاه ، من جملة رعاياه ،
ونتشرف بنسبه وننافس فيه ، وابنتي جارية من جملة جواريه ؛ وهذا جل
مرادى ، ليكون ذخري واعتمادى .

ثم إنه أحضر القضاة والشهود ، وشهدوا أن الملك سليمان شاه ، وكل
وزيره في الزواج ، وتولى الملك زهر شاه عقد ابنته بابتهاج ؛ ثم إن القضاة
أحكموا عقد النكاح ، ودعوا لهما بالفوز والنجاح . فعند ذلك قام
الوزير ، وأحضر ما جاء به من الهدايا ، ونفائس التحف والعطايا ، وقدم
الجميع للملك زهر شاه . ثم إن الملك أخذ في تجهيز ابنته وإكرام الوزير ،
وعم بولائمه العظيم والحقير ، واستمر في إقامة الفرح مدة شهرين ،
ولم يترك فيها شيئا إلا فعله مما يسر القلب والعين . ولما تم ما تحتاج إليه
العروس ، أمر الملك بإخراج الخيام ، فضربت بظاهر المدينة ، وعبئوا
القماش في الصناديق ، وهيئوا الجوارى الروميات ، والوصائف

التركيات ، وأصبح العروسة بنفيس الذخائر ، وثمان الجواهر . ثم صنع لها محفة من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر والجوهر ، وأفرد لها عشرة بغال للمسير ، وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير ، وصاحبها كأنها حورية من الحور الحسنان ، وخدرها كقصر من قصور الجنان . ثم حزموا الذخائر والأموال ، وحملوها على البغال والجمال ، وتوجه الملك زهر شاه معهم ثلاثة فراسخ ، ثم ودع ابنته ، وودع الوزير ومن معه ، ورجع إلى الأوطان ، في فرح وأمان . وتوجه الوزير بابنة الملك ، وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ... وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٠٩

(فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الوزير توجه بابنة الملك ، وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ، ويجد السير في الليل والنهار ، حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة أيام . ثم أرسل إلى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة ؛ فأسرع الرسول بالسير حتى وصل إلى الملك ، وأخبره بقدوم العروسة . ففرح الملك سليمان شاه ، وخلع على الرسول ، وأمر عساكره أن يخرجوا في موكب عظيم ، إلى ملاقة العروسة ومن معها بالتكريم ، وأن يكونوا في أحسن البهجات ، وأن ينشروا على رؤوسهم الرايات ؛ فامتلأوا لأمره ، وناد مناد أنه لا تبقى بنت ، ولا حرة موقرة ، ولا عجوز مكسرة ، إلا وتخرج إلى لقاء العروسة .

فخرجوا جميعا إلى لقائها ، وسعى كبارؤهم في خدمتها ، واتفقوا على

أن يتوجهوا بها في الليل إلى قصر الملك . واتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق ، وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة ، والخدم قدامها ، والجواري بين يديها ، وعليها الخلعة التي أعطاها لها أبوها . فلما أقبلت ، أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ؛ ولم تنزل المحفة سائرة بها ، إلى أن قربت من القصر ، ولم يبق أحد إلا وقد خرج ليتفرج عليها . وصارت الطبول ضاربة ، والرماح لاعبة ، والبوقات صائحة ، وروائح الطيب فائحة ، والرايات خافقة ، والخيل متسابقة ، حتى وصلوا إلى باب القصر ، وتقدمت الغلمان بالمحفة إلى باب السر ؛ فأضاء المكان بهجتها ، وأشرقت جهاته بحلي زينتها . فلما أقبل الليل ، فتح الخدم أبواب السرايق ، ووقفوا وهم محيطون بالباب . ثم جاءت العروسة ، وهن بين الجواري كالقمر بين النجوم ، أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم . ثم دخلت المقصورة ، وقد نصبوا لها سريرا من المرمرة ، مرصعا بالدر والجوهر ، فجلست عليه . ودخل عليها الملك ، وأوقع الله محبتها في قلبه وزال ما عنده من القلق والسهر ؛ وأقام عندها نحو شهر ، فعلمت منه في أول ليلة . وبعد تمام الشهر ، خرج وجلس على سرير مملكته ، وعدل في رعيته ، إلى أن وفّت أشهرها .

وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر ، فجلست على كرسی الطلق ، وهون عليها الولادة ، فوضعت غلاما ذكرا ، تلوح عليه علامات السعادة . فلما سمع الملك بالولد ، فرح فرحا جليلا ، وأعطى المبشر مالا جزيلا . ومن فرحته توجه إلى الغلام وقبله بين عينيه ، وتعجب من جماله الباهر ، وتحقق فيه قول الشاعر :

الله خَوَّلَ مِنْهُ آجَامَ الْعَالَا

أَسَدًا وَأَفَاقَ الرِّيَاسَةِ كَوَكَبًا

هشت لمطلعه الأسنة والأسير
ة والمحافل والجحافل والطبي
لا تُركبوه على النهود فإنه
ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
ولتفطموه عن الرضاع فإنه
ليرى دم الأعداء أحلى مشربا

ثم إن الدايات أخذن ذلك المولود ، وقطعن سرته ، وكحلن مقلته ، ثم
سموه « تاج الملوك خاران » . وارتضع ثدى الدلال ، وترى فى حجر
الإقبال ، ولا زالت الأيام تجرى ، والأعوام تمضى ، حتى صار له سبع
سنين . فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء ، وأمرهم أن
يعلموا ولده الخط والحكمة والأدب ؛ فمكثوا على ذلك مدة سنتين حتى
تعلم ما يحتاج إليه الأمر . فلما عرف جميع ما طلبه الملك ، أحضره من عند
الفقهاء والمعلمين ، وأحضر له أستاذا فى الفروسية ، فلم يزل يعلمه حتى
صار له من العمر أربع عشرة سنة ، وكان إذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به
من رآه .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه ، لما مهر فى الفروسية ، وفاق أهل زمانه ، صار من فرط جماله ، إذا خرج إلى بعض أشغاله ، يفتن به كل من رآه ، حتى نظموا فيه الأشعار ، وتهكت فى محبته الأحرار ، لما حوى من الجمال ، كما قال فيه الشاعر :

عانقتيه فسكرت من طيب الشذا
غصنا رطيبا بالسنسيم قد اغتذى
سكران ما شرب المدام وإنما
أمنى بخمر رضابه مُتَبِّدًا
أضحى الجمال بأسره فى أسره
فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطرى

ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا ...
إن عشت عشت على هواه وإن أمت
وجئدا به وصبابسة يا حُجَّذا

فلما صار بتلك الحال ، وبلغ مبلغ الرجال ، زاد به الجمال ؛ ودب عذاره الأخضر ، علم ، شامة خده الأحمر ، وزانهما خال كنقطة عنبر ؛ وصار يسبى العقول والنواظر ، كما قال فيه الشاعر :

أضحى ليوسف في الجمال خليفة
عرج معى وانظر إليه لكى ترى
وكما قال الآخر :

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ
وكما قال الآخر :

عجبت لخال يعبد النار دائما
وأعجب من ذا أن لحظك مُرسل
وما اخضرَّ ذاك الخد ثبنا وإنما
وكما قال الآخر :

إنى لأعجب من سؤال الناس عن
ولقد أراه بشعر ظبى أغيد
ومن العجائب أن موسى يلتقى

ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب وأحباب ، وكل من تقرب إليه
يرجو له أن يصير سلطانا بعد موت أبيه ، وأن يكون عنده أميرا . ثم إنه تعلق
بالصيد والقنص ، وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة ؛ وكان والده الملك
سليمان شاه ينهاه عن ذلك ، خوفا عليه من آفات البر والوحوش ، فلم يقبل
منه ذلك . فاتفق أنه قال لخدامه : خذوا معكم غليق عشرة أيام .

فامتلوا لما أمرهم به ، فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص ، ساروا في
البر ، ولم يزلوا سائرين أربعة أيام ، حتى أشرفوا على أرض خضراء ؛ فرأوا
فيها وحوشا راتعة ، وأشجارا يانعة ، وعيونا نابعة . فقال تاج الملوك
لأتباعه : انصبوا الحبال هنا ، ووسعوا دائرة حلقتها ، ويكون اجتماعنا عند
رأس الحلقة في المكان الفلانى .

فامتلوا لأمره ، ونصبوا الحبال ووسعوا دائرة حلقتها ، فاجتمع فيها شيء كثير من أصناف الوحوش والفزلان ، إلى أن ضجعت منهم الوحوش ، وتنافرت في وجوه الخيل ؛ فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور . ثم ضربوا الوحوش بالنشاب ، فأصابوا مقاتل الوحوش . وما وصلوا إلى آخر الحلقة إلا وقد أخذوا من الوحوش شيئا كثيرا ، وهرب الباقي . وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء ، وأحضر الصيد وقسمه ، وأفرد لأبيه سليمان شاه الوحوش النادرة ، وأرسلها إليه ، وفرق بعضها على أرباب دولته ؛ وبات تلك الليلة في ذلك المكان .

فلما أصبح الصباح ، أقبلت عليهم قافلة كبيرة ، مشتملة على عبيد وغلمان وتجار ؛ فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة . فلما رآهم تاج الملوك قال لأحد أصحابه : ائتني بخبر هؤلاء ، واسألهم لأي شيء نزلوا في هذا المكان .

فلما توجه إليهم الرسول قال لهم : أخبرونا من أنتم ، وأسرعوا في رد الجواب .

فقالوا له : نحن تجار ، ونزلنا هنا لأجل الراحة ، لأن المنزل بعيد علينا ، وقد نزلنا في هذا المكان ، لأننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ، ونعلم أن كل من نزل عنده صار في أمان واطمئنان ؛ ومعنا قماش نفيس ، جئنا به من أجل ولده تاج الملوك .

فرجع الرسول إلى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال ، وأخبره بما سمعه من التجار .

فقال ابن الملك : إذا كان معهم شيء جاءوا به من أجل فما أدخل المدينة ، ولا أرحل من هذا المكان ، حتى أستعرضه .

ثم ركب جواده، وسار وسارت ممالكه خلفه، إلى أن أشرف على القافلة؛ فقام له التجار، ودعوا له بالنصر والإقبال، ودوام العز والإفضال. وضربت له خيمة من الأطلس الأحمر، مزر كشة بالدر والجوهر، وفرشوا له مقعدا سلطانيا، فوق بساط من الحرير، وصدرة مزر كش بالزمرد؛ فجلس تاج الملوك، ووقفت الممالك في خدمته، وأرسل إلى التجار، وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم. فأقبل عليه التجار ببضائعهم، وأخذ منها ما يصلح له، ووفى لهم بالثمن. ثم ركب وأراد أن يسير، فلاحت منه التفاته إلى القافلة، فرأى شابا جميلا، نظيف الثياب، ظريف المعاني، بجبين أزهر، ووجه أقمر، إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الأصفرار، من فرقة الأحباب.

وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

١١١

(فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن تاج الملوك لاحت منه التفاته إلى القافلة، فرأى شابا جميلا، نظيف الثياب، ظريف المعاني؛ إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الأصفرار، من فرقة الأحباب، وزاد به الانتحاب، وسالت من جفنيه العبرات، وهو ينشد هذه الأبيات :

طال الفراق ودام الهم والوجل

والدمع في مقلتي يا صاح مُهمِل

(العاشق والمعشوق)

والقلب ودَّعته يوم الفسراق وقد
بقسيت فردا فلا قلب ولا أمل
يا صاحبي قف معي حتى أودع مَنْ
بنطقها تشتفى الأمراض والعلل

ثم إن الشاب بعد ما فرغ من الشعر ، بكى ساعة وغشى عليه ، وتاج
الملك ناظر إليه ، وهو يتعجب من أمره . فلما أفاق رَنا بفاتك اللحظات ،
وأنشد هذه الأبيات :

خذوا حذرکم من طرفها فهو ساحر
وليس بنساج من رمته المحاجر
فإن العيون السود وهى نواعس
تقد السيوف البيض وهى بواتر
ولا تخضعوا من رقة فى كلامها
فإن الحميا^(١) للعقول تخامر
منعمة الأطراف لو مس جسمها
حريـر لأدماء وهـا أنت ناظر
بعيدة ما بين المخلخل والطللى^(٢)

وأين الشدا من طيها وهو عاطر
ثم شهق شهقة فغشى عليه . فلما رآه تاج الملك على هذه الحال تحير فى
أمره ، ومشى إليه . فلما أفاق من غشيته ، ونظر ابن الملك واقفا على رأسه ،

(١) الحميا : الخمر .

(٢) المخلخل : موضع الخلخال . والطللى : الأعناق . ويريد بهذا أنها غير قصيرة .

نهض قائما على قدميه ، وقبل الأرض بين يديه . فقال له تاج الملوك : لأى
شئ لم تعرض بضاعتك علينا ؟

فقال : يا مولاي ، إن بضاعتي ليس فيها شئ يصلح لك .

فقال : لا بد أن تعرض على ما معك ، وتخبرني بحالك ؛ فإنى أراك باكى
العين ، حزين القلب . فإن كنت مظلوما أزلنا ظلامتك ، وإن كنت مدينا
قضينا دينك ؛ فإن قلبى قد احترق من أجلك حين رأيتك .

ثم إن تاج الملوك أمر بنصب كرسي ، فنصبوا له كرسيًا من العاج
والآبنوس ، مشبكا بالذهب والحرير ، وبسطوا له بسطا من الحرير .
فجلس تاج الملوك على الكرسي ، وأمر الشاب أن يجلس على البساط ، وقال
له ، اعرض على بضاعتك .

فقال له الشاب : يا مولاي ، لا تذكر لى ذلك ، فإن بضاعتي ليست
مناسبة لك .

فقال له تاج الملوك : لا بد من ذلك .

ثم أمر بعض غلمانه بإحضارها ، فأحضروها قهرا عنه ؛ فلما رآها
جرت دموعه وبكى ، وأن واشتكى ، وصعد الزفرات ، وأنشد هذه
الآيات :

بما يحفنيك من غنج ومن كحل

وما بقصدك من لين ومن ميل

وما بثغرك من خمر ومن شهيد

وما يعطفك من لطف ومن ملل

عندى زيارة طيف منك يا أمل

أجلى من الأمن عند الخائف الوجيل

ثم إن الشاب فتح بضاعته ، وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة ،
وتفصيلاً تفصيلاً ؛ وخرج من جملة ثريا من الأطلس ، منسوجاً بالذهب ،
يساوي ألف دينار ، فلما فتح الثوب ، وقعت من وسطه خرقة ، فأخذها
الشباب بسرعة ، ووضعها تحت وركه ، وقد ذهل عن العقول ، وأنشد
يقول :

متى يشتفى منك الفؤاد المعذب
ونجم الثريا من وصالك أقرب
بعاد وهجر واشتياق ولوعة
ومطل وتسويف به العمر يذهب
فلا الوصل يحينى ولا الهجر قاتل
ولا البعد يدنينى ولا أنت تقرب
ومبا منك إنصاف ولا لك رحمة
ولا منك إسعاف ولا عنك مهرب
وفي حبكم ضاقت جميع مذاهبى
على فلا أدري إلى أين أذهب

فتعجب تاج الملوك من إنشاده غاية العجب ، ولم يعلم لذلك من
سبب . ولما أخذ الخرقة ووضعها تحت وركه ، قال له تاج الملوك : ما هذه
الخرقة ؟

فقال : يا مولاي ، ليس لك بهذه الخرقة حاجة .

فقال له ابن الملك : أرني إياها .

قال له : يا مولاي ، إني لم أمتنع عن عرض بضاعتي عليك إلا من
أجلها ، فإني لا أقدر أن تنظر إليها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك
السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : إني لا أقدر على أن تنظر إليها .
قال له تاج الملوك : لا بد من رؤيتها .

وألح عليه واغتاظ ، فأخرجها من تحت ركبته وبكى ، وأن واشتكى ،
وأكثر من الأناة ، وأنشد هذه الأبيات :

لا تعذليه فإن العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
أستودع الله فى البطحاء لى قمرا
بالحى من فلك الأزارار مطلقه
ودعته وبودى لو يودعنى
صفرو الحياة وأنسى لا أودعه
وكم تشفع لى يوم الفراق ضحى
وأدمعنى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ، ثوب العذر منخرق
عنى بفرقه لكن أرقعه
لا يستقر جنبى مضجع وكذا
لا يستقر له — مذ بنت — مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا يسد
عسراء تمنعنى حظى وتمنعه

وصبت لهم صيرفا عند ما ملأت

كأسا تجرع منها ما أجرعه

فلما فرغ من شعره ، قال له تاج الملوك : أرى أحوالك غير مستقيمة ،

فأخبرني ما سبب بكائك عند نظرك إلى هذه الخرقة ؟

فلما سمع الشاب ذكر الخرقة ، تهتد وقال : يا مولاي ، إن حديثي

عجيب ، وأمرى غريب ، مع هذه الخرقة وصاحبيتها ، وصاحبة هذه الصورة والتماثيل .

ثم نشر الخرقة ، وإذا بصورة غزال ، مرقومة بالحرير ، مزر كشة بالذهب الأحمر ، وقبالتها صورة غزال آخر ، وهي مرقومة بالفضة ، وفي رقبتها طوق من الذهب الأحمر ، وثلاث قصبات من الزبرجد . فلما نظر تاج الملوك إليه وإلى حسن صنعته قال : سبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم . وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب ، فقال له ، احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال .

فقال الشاب : اعلم يا مولاي ، أن أبي كان من التجار الكبار ، ولم يرزق ولداً غيري . وكانت لي بنت عم ، تربيت معها في بيت أبي ، لأن أباها قد مات ، وكان قبل موته تعاهد هو وأبي على أن يزوجاني بها . فلما بلغت مبلغ الرجال ، وبلغت هي مبلغ النساء ، لم يحجبوها عني ، ولم يحجبوني عنها . ثم تحدث والدي مع أُمِّي ، وقال لها : في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة ..

واتفق مع أُمِّي على هذا الأمر ، ثم شرع أبي في تجهيز مؤن الولائم . هذا كله وأنا وبنت عمي ننام معا في فراش واحد ، ولم ندر كيف الحال ؛ وكانت هي أشعر مني ، وأعرف وأدري . فلما جهز أبي الفرح ، ولم يبق غير كتب الكتاب ، والدخول على بنت عمي . أراد أبي أن يكتب الكتاب

بعد صلاة الجمعة ؛ ثم توجه إلى أصحابه من التجار وغيرهم ، وأعلمهم بذلك ، ومضت أمي ودعت صاحباتها من النساء ، ودعت أقاربها . فلما جاء يوم الجمعة ، غسلوا القاعة المعدة للجلوس ، وغسلوا رخامها ، وفرشوا في دارنا البسط ، ووضعوا فيها ما يحتاج إليه الأمر ، بعد أن زوقوا حيطاتها بالقماش المقصب ، واتفق الناس أن يجيئوا إلى بيتنا بعد صلاة الجمعة .

ثم مضى أبي ، وعمل الحلويات وأطباق السكر ، وما بقي غير كتب الكتاب . وقد أرسلتني أمي إلى الحمام ، وأرسلت خلفي بذلة جديدة من أفخر الثياب . فلما خرجت من الحمام ، لبست تلك البذلة الفاخرة ، وكانت مطيبة ، فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية ، وعجبت بها الطريق . ثم أردت أن أذهب إلى الجامع ، فتذكرت صاحبالي ، فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب ، وقلت في نفسي : أشغل بهذا الأمر إلى أن يقرب وقت الصلاة .

ثم إنني دخلت زقاقا ما دخلته قط ، وكنت أتصيب عرقا من أثر الحمام والقماش الجديد الذي على جسدي ، فساح عرقى ، وفاحت رائحتي ، فقعدت في رأس الزقاق لأرتاح على مصطبة ، وفرشت منديلا مطرزا كان معي . فاشتد عليّ الحر ، فعرق جبيني ، وصار العرق ينحدر على وجهي . ولم يمكنني مسح العرق عن وجهي بالمنديل ، لأنه مفروش تحتى ، فأردت أن آخذ ذيل ردائي وأمسح وجنتي ؛ فما أدري إلا ومنديل أبيض وقع عليّ من فوق ، وكان ذلك المنديل أرق من النسيم ، ورؤيته ألطف من شفاء السقيم . فأمسكته بيدي ، ورفعت رأسي إلى فوق ، لأنظر من أين سقط هذا المنديل ، فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال المرسوم .



وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : فرفعت رأسى إلى فوق ، لأنظر من أين سقط هذا المنديل ، فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال المرسوم ؛ وإذا بها معلقة من طاقة ، من شباك من نحاس ، لم تر عيني أجمل منها ، وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى .

فلما رأتنى نظرت إليها ، وضعت أصبعها في فمها ، ثم أخذت أصبعها الأوسط ، وألصقته بأصبعها الشاهد^(١) ووضعتهما على صدرها بين نهديها ، ثم أدخلت رأسها من الطاقة ، وسدت باب الطاقة وانصرفت . فانطلقت في قلبى النار ، وزاد بى الاستعار ، وأعقبتنى النظرة ألف حسرة ، وتحيرت لأنى لم أسمع ما قالت ، ولم أفهم ما به أشارت . فنظرت إلى الطاقة ثانيا فوجدتها مغلقة ، فصبرت إلى مغيب الشمس ، فلم أسمع حسا ، ولم أر شخصا . فلما يئست من رؤيتها قمت من مكافى ، وأخذت المنديل معى ، ثم فتحتة ففاحت منه رائحة المسك ، فحصل لى من تلك الرائحة طرب عظيم ، حتى صرت كأننى فى الجنة . ثم نشرته بين يدى ، فسقطت منه ورقة لطيفة ؛ ففتحت الورقة ، فرأيتها معطرة بالروائح الزكيات ، ومكتوب فيها هذه الأبيات :

(١) الشاهد : يراد به السبابة .

بعثت له أشكوه من ألم الجوى

بخط رقيق ، والخطوط فنون

فقال خليلي : ما لخطك هكذا

رقيقا دقيقا لا يكاد يبين

فقلت : لأنى فى نحول ودقّة

كذاك خطوط العاشقين تكون

ثم بعد أن قرأت الأبيات ، أمعنت فى المنديل نظر العين ، فرأيت فى

إحدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين :

كتب العذار ويا له من كاتب

سطين فى خديّه بالريحان

وأحيرة القمرين منه إذا بدا

وإذا انشئ ، وأخجلة الأغصان

ومسطر فى الحاشية الأخرى هذان البيتان :

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ

سطين من سبج على تفاح (١)

القتل فى الحدق المراض إذا رنت

والسُكّر فى الوجنات لا فى السراح

فلما رأيت ما على المنديل من الأشعار ، انطلق فى فؤادى لهيب النار ،

وزادت بى الأشواق والأفكار ؛ وأخذت المنديل والورقة ، وأتيت بهما إلى

البيت ، وأنا لا أدري لى حيلة فى الوصال ، ولا أستطيع فى العشق تفصيل

(١) السبج : الخبز الأسود .

الإجمال . فما وصلت إلى البيت إلا بعد مدة من الليل ، فرأيت بنت عمى جالسة تبكى . فلما رأتنى مسحت دموعها ، وأقبلت عليّ وخلعت عني ثيابي ، وسألتنى عن سبب غيابي ؛ وأخبرتني أن جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا ، وحضر القاضي والشهود ، وأكلوا الطعام ، واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورك من أجل كتب الكتاب ؛ فلما يسوا من حضورك تفرقوا ، وذهبوا إلى حال سبيلهم ، وقالت لي : إن أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا ، وحلف أنه لا يكتب كتابنا إلا في السنة المقبلة ، لأنه غرم في هذا الفرح مالا كثيرا .

ثم قالت لي : ما الذي جرى لك في هذا اليوم ، حتى تأخرت إلى هذا الوقت ، وحصل ما حصل بسبب غيابك ؟
فقلت لها : جرى لي كذا وكذا .

وذكرت لها المنديل ، وأخبرتها بالخبر من أوله إلى آخره ، فأخذت الورقة والمنديل ، وقرأت ما فيهما ، وجرت دموعها على خدودها وأنشدت :

من قال : أول الهوى اختيـار

فقل : كذبت كله اضطرار

ثم إنها قالت لي : فما قالت لك ، وما أشارت به إليك ؟
فقلت لها : ما نطقـت بشيء ، غير أنها وضعت إصبعها في فمها ، ثم قرنتها بالإصبع الأوسط ، وجعلت الإصبعين على صدرها ، وأشارت إلى الأرض ، ثم أدخلت رأسها ، وأغلقت الطاقة ، ولم أرها بعد ذلك ، فأخذت قلبي معها . فقعدت إلى غياب الشمس أنتظر أنها تطل من الطاقة ثانية فلم تفعل . فلما يئست منها قمت من ذلك المكان ؛ وهذه قصتي ، وأستهي منك أن تعينني على ما بليت .



فرفعت رأسها إلى وقالت : يا ابن عمي لو طلبت عيني لأخرجتها لك
من جفوني ، ولا بد أن أساعدك على حاجتك ، وأساعدها على حاجتها ،
فإنها مغرمة بك ، كما أنك مغرم بها .

فقلت لها : وما تفسير ما أشارت به ؟

قالت : أما وضع إصبعها في فمها ، فإنه إشارة إلى أنك عندها بمنزلة
روحها من جسدها ، وأنها تعض على وصالك بالنواجذ . وأما المنديل فإنه
إشارة إلى سلام المحبين على المحبوبين . وأما الورقة ، فإنها إشارة إلى أن
روحها متعلقة بك . وأما وضع إصبعها على صدرها بين يديها ، فتفسيره
أنه تقول لك : « بعد يومين تعال هنا ، ليحول عني بطلعتك العنا » . واعلم
يا ابن عمي أنها لك عاشقة ، وبك واثقة ؛ وهذا ما عندي من التفسير

لإشارتها ، ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها في أسرع وقت ،
وأستر كما بذيلي .

قال الغلام : فلما سمعت ذلك منها ، شكرتها على قولها ، وقلت في نفسي
أنا أصبر يومين .

ثم قعدت في البيت يومين ، لا أدخل ولا أخرج ، ولا أكل ولا أشرب ؛
ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي ، وهي تسالني وتقول لي : قوّ عزمك
وهمتك ، وطيب قلبك وخاطرك .

وأدرك شهر زاد الصباح فنسكتت عن الكلام المباح .

١١٤

(فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك
السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : فلما انقضى اليومان ، قالت لي ابنة
عمي : طب نفسا وقر عيننا ، والبس ثيابك ، وتوجه إليها على الميعاد .
ثم إنها قامت وغيّرت أثوابي وبخرتنني ؛ ثم إني شددت عزمي ، وقويت
قلبي ، وخرجت ومشيت إلى أن دخلت الزقاق ، وجلست على المصطبة
ساعة ؛ وإذا بالطاقة قد انفتحت ، فنظرت بعيني إليها ، فلما رأيته وقعت
مغشيا عليّ . ثم أفقت ، فشددت عزمي ، وقويت قلبي ونظرت إليها ثانيا
فغبت عن الوجود . ثم استفتت فرأيت معها مرآة ومندिला أحمر ؛ وحين
رأته شمرت عن ساعديها ، وفتحت أصابعها الخمس ، ودقت بها على
صدرها بالكف والخمس الأصابع ؛ ثم رفعت يديها ، وأبرزت ماء من
الطاقة ، وأخذت المنديل الأحمر ، ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة إلى
صوب الزقاق ثلاث مرات ، وهي تدليه وترفعه ، ثم عصرته ولفته بيدها ،

وطأطأت رأسها ثم جذبتة من الطاقة ، وأغلقت الطاقة وانصرفت ؛
ولم تكلمنى كلمة واحدة ، بل تركتنى حيران ، لا أعلم ما أشارت به .
واستمررت جالسا إلى وقت العشاء ، ثم جئت إلى البيت قرب نصف
الليل ، فوجدت ابنة عمى واضعة يدها على خدها ، وأجفانها تسكب
العبرات ، وهى تنشد هذه الأبيات :

ما لى وللأحى عليك يُعَنَّف
كيف السلو وأنت غصن أهيف

يا طلعة سلبت فؤادى وانشنت
ما للهوى العُذْرَى عنها مصرف
تركية الألحاظ تفعل بالحشا

ما ليس يفعل له الصَّقِيل المرهف
حملتنى ثقل الغرام وليس لى
جَلَد على حمل القميص ، وأضعف
واقذ بكيت دُمًا لِقُول عواذلى

من جَفَن من تهوى يروحك مرهف
يا ليت قلبى مثل قلبك إنما
جسمى كخصرك بالنعافة مُتَلَسِّفُ
لك يا أمير فى الملاحسة ناظر

صَغْب علىَّ وحاجب لا ينصف
كذب الذى قال : الملاحسة كلها

فى يوسف ، كم فى جمالك يوسف
أتكلف الإعراض عنك بخافة
من أعين الرقباء ، كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد بي من الهموم، وتكاثرت على الغموم،
ووقعت في زوايا البيت. فهضت إليّ وحملتني، وخلعت لي أثوابي
ومسحت وجهي بكمها، ثم سألتني عما جرى لي.

فحكيت لها جميع ما حصل منها، فقالت: يا ابن عمي، أما إشارتها
بالكف والخمس الأصابع، فإن تفسيره تعال بعد خمسة أيام. وأما إشارتها
بالمرآة والمنديل وإبراز رأسها من الطاقة، فإن تفسيره اقعد على دكان
الصباغ حتى يأتيك رسولي.

فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي، وقلت: بالله يا بنت عمي
إنك تصدقيني في هذا التفسير، لأنني رأيت في الزقاق صباغا يهوديا.

ثم بكيت، فقالت، قوّ عزمك، وثبت قلبك، فإن غيرك يشتغل
بالعشق مدة سنين، ويتجلد على حر الغرام؛ وأنت لك جمعة، فكيف
يحصل لك هذا الجزع؟

ثم أخذت تسليّني بالكلام، وأتت لي بالطعام، فأخذت لقمة وأردت
أن آكلها، فما قدرت؛ فامتنعت عن الشراب والطعام، وهجرت لذية
المنام، واصفر لوني، وتغيرت محاسني، لأنني ما عشقت قبل ذلك، ولا
ذقت حرارة العشق إلا في هذه المرة؛ فضعفت بنت عمي من أجلى،
وصارت تذكر لي أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلّي في كل ليلة،
إلى أن أنام؛ وكنت أستيقظ فأجدها سهرانة من أجلى، ودمعها يجري على
خدها. ولم أزل كذلك إلى أن مضت الخمسة الأيام، فقامت ابنة عمي،
وسخنت لي ماء لأستحم، وألبستني ثيابي وقالت لي: توجه إليها، قضى
الله حاجتك، وبلغك مقصودك من محبوبتك.

فمضيت، ولم أزل ماشيا إلى أن أتيت إلى رأس الزقاق، وكان ذلك في
يوم السبت، فرأيت دكان الصباغ مقفلا، فجلست عليه، حتى أذن

العصر ، واصفرت الشمس ؛ وأذن المغرب ودخل الليل ، وأنا لا أدري لها
أثر ، ولا أسمع لها حسا ولا خبرا . فخشيت على نفسي وأنا جالس وحدي ،
فقمتم ومشيت وأنا كالسكران ، إلى أن دخلت البيت . فلما دخلت رأيت
ابنة عمي عزيزة ، وإحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ،
ويدها الأخرى على صدرها ، تصعد الزفرات ، وتنشد هذه الأبيات :
وما وجد أعرايية بان أهلها

فحنت إلى بان الحجاز ورنده (١)
إذا آنست ركبا تكفل شوقها

بنار قراه والدموع بورده (٢)
بأعظم من وجدى بحبى (١) وإنما
يرى أننى أذنبت ذنبسا بوذه

فلما فرغت من شعرها ، التفتت إني فرأتني أبكى ، فمسحت دموعها
ودموعى بكمها ، وتبسمت في وجهى وقالت لى : يا ابن عمى ، هناك الله
بما أعطاك . فلاى شىء لم تبت الليلة عند محبوبتك ، ولم تقض منها أربك ؟
فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها ، فانقلبت على الإيوان ،
فجاءت جبتها على طرف الإيوان ، وكان هناك وتد ، فجاء في جبتها
فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها .
وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(١) بان أهلها : فارقوها . والبان : شجر معتدل القوام . والرنند : نبات من شجر
البادية .

(٢) القرى : ما يقدم للضيف . والورد : الماء الذى يورد .

(٣) الحيب : الحبيب .

(فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : فلما رfst ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الإيوان ، فجاء الوتد بجبهتها ، فانفتح جبينها ، وسال دمها ؛ فسكتت ولم تنطق بحرف واحد . ثم إنها قامت فى الحال ، وأحرقت حُرُوقاً (١) وحشت به ذلك الجرح ، وتغصبت بعصاة ، ومسحت الدم الذى سال على البساط ، وكأن شيئاً لم يحدث . ثم إنها أتتني ، وتبسمت فى وجهى ، وقالت لى بلىن الكلام : والله يا ابن عمى ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها ؛ وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم ، وفى هذه الساعة قد خفت جبهتى ، فأخبرنى بما كان من أمرى فى هذا اليوم .

فحكيت لها جميع ما وقع لى منها فى ذلك اليوم ؛ وبعد كلامى بكيت ، فقالت : يا ابن عمى أبشر بنجاح قصدك ، وبلوغ أملك . إن هذه علامة القبول ، وذلك أنها غابت عنك ، لأنها تريد أن تختبرك ، وتعرف هل أنت صابر أو لا ، وهل أنت صادق فى محبتها أو لا . وفى غد توجه إليها فى مكانك الأول ، وانظر ماذا تشير به إليك ، فقد قربت أفراحك ، وزالت أتراحك . وصارت تسلىنى على ما بى ، وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم . ثم قدمت لى الطعام فرفسته ، فانسكبت كل زبدية فى ناحية ، وقلت : كل من كان عاشقاً فهو مجنون ، لا يميل إلى الطعام ، ولا يلتذ بمنام .

فقالت لى ابنة عمى عزيزة : والله يا ابن عمى إن هذه علامة المحبة . وسالت دموعها ، ولمت شقيف الزبى ، ومسحت الطعام ، وجلست تسامرنى ، وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح . فلما أصبح (العاشق والمعشوق)

الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، توجهت إليها ، ودخلت ذلك الزقاق بسرعة ، وجلست على تلك المصطبة ؛ وإذا بالطاقة قد انفتحت ، وأبرزت رأسها منها وهى تضحك . ثم غابت ورجعت ، ومعها مرآة وكيس ، وقصرية ممتلئة زرعاً أخضر ، وفى يدها قنديل ؛ فأول ما فعلت أخذت المرآة فى يدها وأدخلتها فى الكيس ، ثم ربطته ورمته فى البيت ؛ ثم أرخت شعرها على وجهها ، ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ، ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة . فانفطر قلبى من هذه الحال ، ومن إشارتها الخفية ، ورموزها المخفية ، وهى لم تكلمنى بكلمة قط . فاشتد لذلك غرامى ، وزاد وجدى وهيامى . ثم إنى رجعت على عقبى ، وأنا باكى العين حزين القلب ، حتى دخلت البيت ، فرأيت بنت عمى قاعدة ، ووجهها إلى الحائط ، وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ؛ ولكن محبتها منعها من أن تخبرنى بشيء مما عندها من الغرام ، لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام . ثم نظرت إليها فرأيت على رأسها عصابتين ، إحداهما من الوقعة على جبهتها ؛ والأخرى على عينيها بسبب وجع أصابهما من شدة بكائها ؛ وهى فى أسوأ الحالات ، تبكى وتنشد هذه الأبيات :

أينما كنت لم تزل بأمرى

أيها الراحل المقيم بقلبي

ولك الله حيث أمسيت جاراً

منقذاً من صرّوف دهر وخطب

غيت فاستوحشت لبعيدك عيني

واستهليت مدامعى أى سكب

ليت شعري بأى أرض ومغشى

أنت مستوطن بدار وشعب

إن يكن شربك القراح زلالا

فدموعى من المحاجر شربى

كل شيء سوى فراقك عذب

كالتجافى بين الرقاد وجنبى

فلما فرغت من شعرها نظرت إلى ، فرأيتى وهى تبكى ؛ فمسحت
دموعها ، ونهضت إلى ولم تقدر أن تتكلم مما هى فيه من الوجد ، ولم تزل
ساكتة برهة من الزمان ؛ ثم بعد ذلك قالت : يا ابن عمى ، أخبرى بما حصل
لك منها فى هذه المرة .

فأخبرتها بجميع ما حصل لى ، فقالت لى : اصبر فقد آن أوان وصالك ،
وظفرت ببلوغ أمالك ، أما إشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها فى الكيس ،
فإنها تقول لك : « اصبر إلى أن تغطس الشمس » . وأما إرخاؤها شعرها
على وجهها ، فإنها تقول لك : « إذا أقبل الليل وانسبد سواد الظلام على
نور النهار ، فتعال » . وأما إشارتها لك بالقصرية التى فيها زرع ، فإنها تقول
لك : « إذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق » . وأما إشارتها لك
بالقنديل ، فإنها تقول لك : « إذا دخلت البستان فامش فيه ، وأى موضع
وجدت فيه القنديل مضيئا فتوجه إليه ، واجلس تحته وانتظرنى ، فإن هوالك
قاتلنى » .

فلما سمعت كلام ابنة عمى ، صحت من فرط الغرام وقلت : كم
تعدينى وأتوجه إليها ولا أحصل مقصودى ، ولا أجد لتفسيرك معنى
صحيحا .

فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت لى : بقى عليك من الصبر أن
تصبر بقية هذا اليوم إلى أن يولى النهار ، ويقبل الليل بالاعتكار ، فتحظى
بالوصال ، وبلوغ الآمال ، وهذا الكلام صدق بغير عيب .

ثم أنشدت هذين البيتين :

دَرَجَ الأَيْسَامَ تَنْـدَرَجَ

وَيَبْـوَتُ الهم لا تَلـجَ

رب أمـر عَزَّ مطلبـه

قَرَّبـه ساعـة الفـرج

ثم إنها أقبلت على ، وصارت تسلينى بلين الكلام ، ولم تجسر أن تأنيبنى بشيء من الطعام ، مخافة من غضبى عليها ورجاء ميلى إليها . ولم يكن لها قصد إلا أنها أتت إليّ وخلعت لى ثيابى ، ثم قالت : يا ابن عمى ، اقعد معى حتى أحدثك بما يسليك إلى آخر النهار ، وإن شاء الله تعالى ما يأتى الليل إلا وأنت عند محبوبتك .

فلم ألتفت إليها ، وصبرت أنتظر مجىء الليل وأقول : يا رب عجل بمجىء الليل .

فلما أتى الليل ، بكت ابنة عمى بكاء شديدا ، وأعطتنى حبة مسك خالص وقالت لى : يا ابن عمى ، اجعل هذه الحبة فى فمك ، فإذا اجتمعت بمحبوبتك ، وسمحت لك بما تمنيت ، فأنشدها هذا البيت :

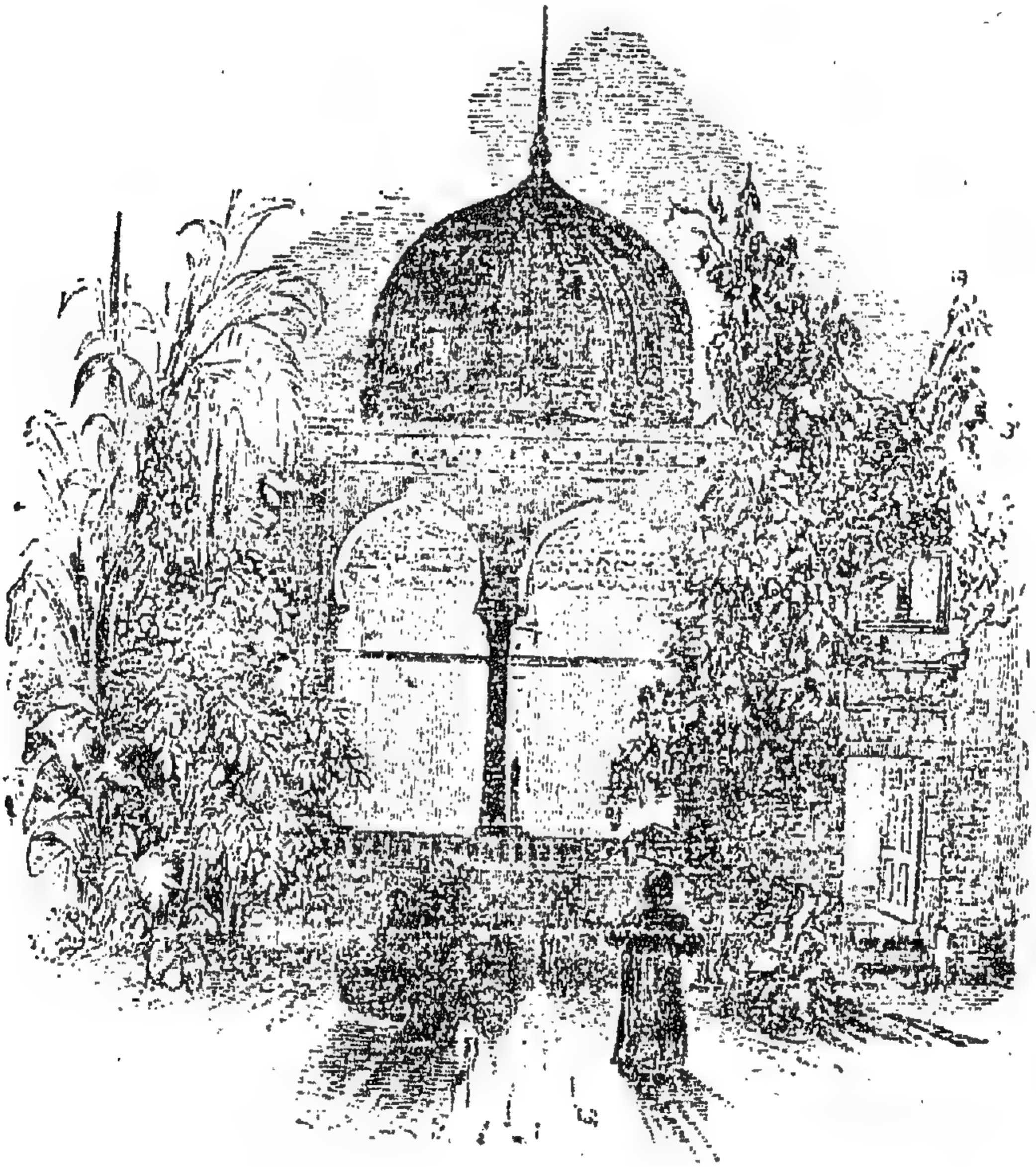
ألا أيها السـعشاق بالله خَبـروا

إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع ؟

ثم إنها قبلتنى ، وحلفتنى أنى لا أنشدها ذلك البيت من الشعر إلا بعد خروجى من عندها ، فقلت لها : سمعا وطاعة .

ثم خرجت وقت العشاء ، ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت إلى البستان ، فوجدت بابه مفتوحا فدخلته ، فرأيت نورا على بعد فقصدته . فلما وصلت إليه ، وجدت مقعدا عظيما ، معقودا عليه قبة من العاج والأبنوس ، والقنديل معلق فى وسط تلك القبة ، وذلك المقعد مفروش

بالبسط الحرير ، المزر كشة بالذهب والفضة ؛ وهناك شمعة كبيرة مضاءة في
شمعدان من الذهب تحت القناديل ، وفي وسط المقعد فسقية فيها أنواع
التصاوير ، وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطه من الحرير ، وإلى
جانبا باحليّة كبيرة من الصينى مملوءة خمرًا ، وفيها قدح من بلور مزر كش
بالذهب ، وإلى جانب الجميع طبق كبير من الفضة مغطى ؛ فكشفته



فرايت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمّان وعنب ونارج وأترنج
وكباد ، وبينها أنواع من الريحاسين من ورد وياسمين وآس ونسرين

ونرجس ، ومن سائر المشمومات ، فهمت بذلك المكان ، وفرحت غاية
الفرح ، وزال عني الهم والترح ؛ لكنني ما وجدت في هذه الدار أحدا من
خلق الله تعالى .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١١٦

(فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك
السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك : لكنني ما وجدت فيه أحدا من خلق الله
تعالى ، ولم أر عبدا ولا جارية ، ولا من يعاني هذه الأمور . فجلست في ذلك
المقعد أنتظر مجيء محبوبتي ، إلى أن مضت أول ساعة من الليل ، وثاني
ساعة ، وثالث ساعة ، فلم تأت ؛ واشتد بي ألم الجوع ، لأن لي مدة من الزمان
ما أكلت طعاما لشدة وجدي . فلما رأيت ذلك المكان ، وظهر لي صدق
بنت عمي في فهم إشارة معشوقتي ، استرحت ووجدت ألم الجوع ، وقد
شوقني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت إلى ذلك المكان ،
واطمأنت نفسي بالوصول ، فاشتيت نفسي الأكل ؛ فتقدمت إلى السفرة ،
وكشفت الغطاء ، فوجدت في وسطها طبقا من الصيني ، وفيه أربع
دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات ، وحول ذلك الطبق أربع زبديات :
واحدة حلوى ، والأخرى حب الرمان ، والثالثة بقلادة ، والرابعة
قطائف ؛ والزبادي ما بين حلوى وحامض . فأكلت من القطائف ، وأكلت
قطعة لحم ، وعمدت إلى البقلادة وأكلت منها ما تيسر ، ثم قصدت الحلوى
وأكلت ملعقة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعاً ، أكلت بعض دجاجة ، وأكلت
لقمة ؛ فعند ذلك امتلأت بطني ، وارتخت مفاصلي ، وقد كسلت عن

السهر ، فوضعت رأسي على وسادة ، بعد أن غسلت يدي ، فغلبني النوم ،
ولم أعلم بما جرى لي بعد ذلك ؛ فما استيقظت حتى أحرقني حر الشمس ،
لأن لي أياماً ما ذقت مناماً . فلما استيقظت وجدت على بطني ملحاً
وفحماً فانتصبت قائماً ، ونفضت ثيابي ، وقد التفت يمينا وشمالا ، فلم أجد
أحداً ؛ ووجدت أني كنت نائماً على الرخام من غير فرش . فتحير عقلي ،
وحزنت حزناً عظيماً ، وجرت دموعي على خدي ، وتأسفت على نفسي ،
فقممت وقصدت البيت . فلما وصلت إليه وجدت ابنة عمي تدق يديها
على صدرها ، وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات ، وتنشد هذه
الآيات :

هَبْ رِيحُ مِنَ الْحُمَّى وَنَسِيمِ
فَأُثَارُ الْهُوَى بِنَشْرِ هَبْوِيهِ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا هَلُمَّ إِلَيْنَا
كُلَّ صَبٍّ بِحَظِّهِ وَنَصِيْبِهِ
لَوْ قَدَرْنَا مِنَ الْغُرَامِ اعْتَقْنَا
كَاعْتِنَا بِحُبِّ صَدْرِ حَبِيْبِهِ
حَرَمَ اللَّهِ بَعْدَ وَجْهِهِ ابْنَ عَمِّي
كُلَّ عَيْشٍ مِنَ الزَّمَانِ وَطِيْبِهِ
لَيْتَ شَعْرِي هَلْ قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي
ذَائِبٌ مِنْ خَرِّ الْهُوَى وَلَهْيِيْبِهِ

فلما رأته قامت مسرعة ، ومسحت دموعها ، وأقبلت عليّ بلين
كلامها وقالت : يا ابن عمي ، أنت في عشقك قد لطف الله بك حيث
أحبك من تحب ، وأنا في بكائي وحزني على فراقك ، فمن يلومني ؟ ولكن
لا آخذك الله من جهتي .

ثم إنها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ، ولا طفتني وخلعت لي ثيابي ،
ونشرتها وشمته ، وقالت : والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبته ، فأخبرني بما
جرى لك يا ابن عمي .

فأخبرتها بجميع ما جرى لي ، فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ، إن
قلبي ملآن موجع ، فلا عاش من يوجع قلبك ؛ وهذه المرأة تتعزز عليك
تعززا قويا . والله يا ابن عمي إني خائفة عليك منها . واعلم يا ابن عمي أن
تفسير الملح هو أنك مستغرق في النوم ، فكأنك دلع الطعم بحيث تعافك
النفوس ، فينبغي لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع ، لأنك تدعي أنك
من العشاق الكرام ، والنوم على العشاق حرام ؛ فدعواك المحبة كاذبة .
وكذلك هي محبتها لك كاذبة ، لأنها لما رأتك نائما لم تنبهك ، ولو كانت
محبتها لك صادقة لنبهتك . وأما الفحم ، فإن تفسير إشارته : سود الله
وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا ، وإنما أنت صغير لم يكن لك همة إلا
للأكل والشرب والنوم . فهذا تفسير إشارتها ، فالله تعالى يخلصك منها .
فلما سمعت كلامها ضربت يدي على صدري وقلت : والله إن هذا هو
الصحيح ، لأنني نمت ، والعشاق لا ينامون ؛ فأنا الظالم لنفسي ، وما كان
أضر عليّ من الأكل والنوم ، فكيف الأمر ؟

ثم إني زدت في البكاء ، وقلت لابنة عمي : دليني على شيء أفعله ،
وارحميني يرحمك الله ، وإلا مت .

وكانت بنت عمي تحبني محبة عظيمة .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك : فقالت لى : على رأسى وعينى ، ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارا : « لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها فى أقرب زمن ، وأعطيكما بذيل ، ولا أفعل معك هذا إلا لقصد رضاك » . وإن شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد بينكما . ولكن اسمع قولى ، وأطع أمرى ، واذهب إلى نفس ذلك المكان ، واقعد هناك ؛ فإذا كان وقت العشاء ، فاجلس فى الموضع الذى كنت فيه ، واحذر أن تأكل شيئا ، لأن الأكل يجلب النوم . وأياك أن تنام ، فإنها لا تأتى لك حتى يمضى من الليل ربه ، كفاك الله شرها .

فلما سمعت كلامها فرحت ، وصرت أدعو الله أن يأتى الليل . فلما أردت الانصراف ، قالت لى ابنة عمى : إذا اجتمعت بها ، فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك .

فقلت لها : على الرأس والعين .

فلما خرجت وذهبت إلى البستان ، وجدت المكان مهيا على الحال التى رأيتهأ أولا ، وفيه ما يحتاج إليه من الطعام والشراب والنقل والمشوم وغير ذلك . فطلعت إلى المقعد وجلست ، وشممت رائحة الطعام فاشتاقنت نفسى إليه ، فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها ؛ فقممت وأتيت إلى السفرة ، وكشفت غطاءها ، فوجدت صحن دجاج ، وحوله أربع زبديات من الطعام ، فيها أربعة ألوان ؛ فأكلت من كل لون لقمة ، وأكلت ما تيسر من الحلوى ، وأكلت قطعة لحم ، وشربت من الزردة ، وأعجبتنى فأكثر

الشرب منها بالملقعة حتى شبعت وامتلاأت بطنى ؛ وبعد ذلك انطبقت
أجفانى . فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسى وقلت : « لعلى أتكىء عليها
ولا أنام » . فأغمضت عيني ونمت ، وما انتبهت حتى طلعت الشمس ،
فوجدت على بطنى كعب عظم ، وفردة طاب^(١) ، ونواة بلح ، وبذرة
خروب ، وليس فى المكان شىء من فرش ولا غيره ، وكأنه لم يكن فيه شىء
بالأمس . فقممت ونفضت الجميع عنى ، وخرجت وأنا مغتاظ ، إلى أن
وصلت إلى البيت ، فوجدت ابنة عمى تصعد الزفرات ، وتنشد هذه
الآيات :

جسد ناحل وقلب جريح

ودموع على الخدود تسيح

وحبيب صعب التجنى ولكن

كل ما يفعل المليح مليح

يا ابن عمى ملأت بالوجد قلبى

إن طرفى من الدموع قريح

فهرت ابنة عمى وشتمتها ، فبكت ثم مسحت دموعها ، وأقبلت على
وقبلتنى ، وأخذت تضمينى إلى صدرها ، وأنا أتباعدها وأعاتب نفسى ،
فقلت لى : يا ابن عمى ، كأنك نمت فى هذه الليلة ؟

فقلت لها : نعم ، ولكننى لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطنى
وفردة طاب ، ونواة بلح وبذرة خروب ، وما أدرى لأى شىء فعلت
هكذا .

(١) الطاب : لعبة تتكون من أربع قطع من جريد النخل مشقوقة ولم يذكر لها
تعريف فى كتب اللغة ولكنها مشهورة فى القرى .

ثم بكيت ، وأقبلت عليها ، وقلت لها : فسر لى إشارة فعلها هذا ،
وقولى لى ماذا أفعل ، وساعدنى على الذى أنا فيه .

فقلت لى : على الرأس والعين . أما كعب العظم والطاب اللذان
وضعتهما على بطنك ، فإنها تشير لك إلى أنك حضرت وقلبك غائب ،
وكانها تقول لك : « ليس العشق هكذا ، فلا تعسد نفسك من
العاشقين » . وأما نواة البلح فإنها تشير بها إلى أنك لو كنت عاشقا ، لكان
قلبك محترقا بالغرام ، ولم تذق لذىذ المنام ، فإن لذة الحب كتمر ، ألهبت فى
الفؤاد جمره . وأما بذرة الخروب ، فإنها تشير لك بها إلى أن قلب المحب
مسلوب ، وتقول لك : اصبر على فراقها صبر أيوب .

فلما سمعت هذا التفسير ، انطلقت فى فؤادى النيران ، وزادت بقلبى
الأحزان ، فصحت وقلت : قد قدر الله علىّ النوم لقلة بختى .

ثم قلت لها ، يا ابنة عمى ، بحياتى عندك دبرى لى حيلة أتوصل بها إليها .
فبكت وقالت : يا عزيز يا ابن عمى ، إن قلبى ملآن بالفكر ، ولا أقدر
أن أتكلم . ولكن رح الليلة إلى ذلك المكان ، واحذر أن تنام ، فإنك تبلغ
المرام ، هذا هو رأى والسلام .

فقلت لها : إن شاء الله لا أنام ، وإنما أفعل ما تأمرينى به .

فقامت بنت عمى ، وأتت بالطعام وقالت لى : كل الآن ما يكفيك ،
حتى لا يبقى فى خاطرك شىء .

فأكلت كفايتى ، ولما أتى الليل قامت بنت عمى ، وأتتنى ببذلة
عظيمة ، وألبستنى إياها ، وحلفتنى أن أذكر لها البيت المذكور ، وحذرتنى
من النوم .

ثم خرجت من عند بنت عمى ، وتوجهت إلى البستان ؛ وجلست على

ذلك المقعد ، ونظرت إلى البستان ، وجعلت أفتح عيني بأصابعي ، وأهز رأسي حين جن الليل .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١١٨

(فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : وجعلت أفتح عيني بأصبعي ، وأهز رأسي حين جن الليل ، فجعت من السهر ، وهبت عليّ روائح الطعام فازداد جوعي ؛ وتوجهت إلى السفرة ، وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة ، وأكلت قطعة لحم ، وأتيت إلى باطية الخمر وقلت في نفسي : « أشرب قدحًا » . فشربته ، ثم شربت الثاني والثالث إلى غاية عشرة ، وقد ضربني الهواء فوقعت على الأرض كالقتيل ، وما زلت كذلك حتى طلع النهار . فانتبهت فرأيت نفسي خارج البستان ، وعلى بطني شفرة ماضية ، ودرهم حديد . فارتجفت ، وأخذتهما وأتيت بهما إلى البيت ، فوجدت ابنة عمي تقول : إني في هذا البيت مسكينة حزينة ، ليس لي معين إلا البكاء . فلما دخلت وقعت من طولى ، ورميت السكين والدرهم من يدي ، وغشي عليّ . فلما أفقت من غشيتي ، عرفت بما حصل لي ، وقلت لها : إني لم أتل أربي .

فاشتد حزنها عليّ لما رأت بكائي ووجدى ، وقالت لي : إني عجزت ، وإني نصحتك بعدم النوم فلم تسمع نصيحتي ، فكلامى لا يفيدك شيئاً . فقلت لها ، أسألك بالله أن تفسري لي إشارة السكين والدرهم الحديد . فقالت : أما الدراهم الحديد ، فإنها تشير بها إلى عينها اليمنى ، وأنها تقسم

بها وتقول : « وحق رب العالمين ، وحق عيني اليمنى ، إن رجعت ثانی مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين » . وأنا خائفة عليك يا ابن عمی من مكرها ، وقلبي ملآن بالحزن عليك ، فما أقدر أن أتكلم . فإن كنت تعرف أنك إن رجعت إليها لا تنام ، فارجع إليها ، وأحذر النوم ، فإنك تفوز بحاجتك . وإن عرفت أنك رجعت إليها تنام على عادتك ، ثم رجعت إليها ونمت ، ذبحتك .



فقلت لها : وكيف يكون العمل يا بنت عمی ؟ أسألك بالله أن تساعدني على هذه البلية .
فقلت : على عيني ورأسي ، ولكن إن سمعت كلامي ، وأطعت أمري ، قضيت حاجتك .
فقلت لها : إني أسمع كلامك ، وأطيع أمرك .

فقلت : إذا كان وقت الرواح أقول لك .

ثم ضمنتني إلى صدرها ، ووضعتني على الفراش ، ولا زالت تكبسنني حتى غلبني النعاس ، واستغرقت في النوم ؛ فأخذت مروحة ، وجلست عند رأسي تروح على وجهي إلى آخر النهار . ثم نبهتني ، فلما انتبهت وجدتني عند رأسي ، وفي يدها المروحة ، وهي تبكي ودموعها قد بليت ثيابها . فلما رأتني استيقظت ، مسحت دموعها ، وجاءت بشيء من الأكل ، فامتنعت عنه ، فقلت لي : أما قلت لك اسمع مني وكل ؟

فأكلت ولم أخالفها ، وصارت تضع الأكل في فمي ، وأنا أمضغ حتى امتلأت ؛ ثم أسقنتني نقيع عنب بالسكر ؛ ثم غسلت يدي ، ونشفتها بمحرمة ، ورشت عليّ ماء الورد . وجلست معها وأنا في عافية ؛ فلما أظلم الليل ، ألبستني ثيابي ، وقالت : يا ابن عمي ، اسهر جميع الليل ولا تنم ؛ فإنها ما تأتيك في هذه الليلة إلا في آخر الليل ، وإن شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ، ولكن لا تنس وصيتي .

ثم بكيت ، فأوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها ، وقلت لها : ما هي الوصية التي وعدتني بها ؟

فقلت لي : إذا انصرفت من عندها ، فأنشد لها البيت المتقدم ذكره . ثم خرجت من عندها فرحان ، ومضيت إلى البستان ، وطلعت على المقعد وأنا شبعان ، فجلست وسهرت إلى ربع الليل . ثم طال الليل كأنه سنة ، فمكثت ساهرا حتى مضى ثلاثة أرباع الليل ، وصاحت الديوك . فاشتد عندي الجوع من السهر ، فقممت إلى السفرة وأكلت حتى اكتفيت ، فثقل رأسي وأردت أن أنام ؛ وإذا بضجة على بعد ، فنهضت وغسلت يدي وفمي ، ونهبت نفسي . فما كان إلا قليل ، وإذا بها أتت ، ومعها عشر جوار ، وهي بينهن كالبدر بين الكواكب ، وعليها حلة من

الأطلس الأخضر ، مزر كشة بالذهب الأحمر ، وهى كما قال الشاعر :

تتبه على العشاق فى حبل خضر

مفككة الأزارر محلولة الشعر !

فقلت لها ما الاسم ؟ قالت أنا التى

كويت قلوب العاشقين على الجمر !

شكسوت إليها ما أقاسى من الهوى

فقلت : إلى صخر شكوت ولم تدر !

فقلت لها إن كان قلبك صخرة

فقد أنبع الله الزلال من الصخر !

فلما رأتنى ضحككت وقالت : كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم ؟

وحيث سهرت الليل علمت أنك عاشق ، لأن من شيم العشاق سهر الليل
فى مكابدة الأشواق .

ثم أقبلت على الجوارى وغمزتهن . فانصرفن عنها ، وأقبلت على

وضمتنى إلى صدرها ، وقبلتنى وقبلتها .

وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر ، كما قال فيها الشاعر :

أهنتى لىالى الدهر عندى ليلة

لم أخل فيها الكاس من إعمال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف ، وإذا بها أمسكت بى وقالت

لى : قف حتى أخبرك بشيء .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : وقالت لى : قف حتى أخبرك بشيء ، وأوصيك وصية .

فوقفت ، فحلت منديلا ، وأخرجت هذه الخرقه ، ونشرتها قدامى ، فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثل ؛ فتعجبت منها غاية العجب ، فأخذته ، وتواعدت معها أن أسعى إليها كل ليلة فى ذلك البستان ، ثم انصرفت من عندها وأنا فرحان ، ومن فرحى نسيت الشعر الذى أوصتنى به بنت عمى . وحين أعطتنى الخرقه التى فيها صورة الغزال ، قالت لى : هذا عمل أختى .

فقلت لها : وما اسم أختك ؟

قالت : اسمها نور الهدى ، فاحتفظ بهذه الخرقه .

ثم ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ، ومشيت إلى أن دخلت على ابنة عمى ، فوجدتها راقدة . فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ، ثم أقبلت على ، وقبلت صدرى ، وقالت لى : هل فعلت ما أوصيتك به من إنشاد بيت الشعر ؟

فقلت لها : إني نسيت ، وما شغلنى عنه إلا صورة هذا الغزال .

ورميت الخرقه قدامها ، فقامت وقعدت ، ولم تطق صبرا ؛ وأفاضت دمع العين ، وأنشدت هذين البيتين :

يا طالباً للفراق مهلاً فلا يغرنك العنساك
مهلاً فطبع الزمان غدر وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت : يا ابن عمى ، هب لى هذه الخرقة .
فوهبتها لها ، فأخذتها ونشرتها ، ورأت ما فيها . فلما جاء وقت ذهابى
قالت ابنة عمى : اذهب مصحوبا بالسلامة ، ولكن إذا انصرفت من
عندها فأنشدها الشعر الذى أخبرتك به أولا ونسيته .
فقلت لها : أعيديه لى .

فأعادته ، ثم مضيت إلى البستان ، ودخلت إلى المقعد ، فوجدت الصبية
فى انتظارى ؛ فلما رأتنى قامت وقبلتنى ، ثم أكلنا وشربنا وسهرنا ثم نمنا .
فلما أصبح الصباح ، أنشدتها بيت الشعر وهو :
ألا أيها العشاق بالله خَبِّروا

إذا أشد عشق بالفتى كيف يصنع ؟

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع ، وأنشدت :

يدارى هواه ثم يكتم سره

ويصبر فى كل الأمور ويخضع !

فحفظته ، وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمى . ثم خرجت وأتيت إلى ابنة
عمى ، فوجدتها راقدة ، وأمى عند رأسها تبكى على حالها ، فلما دخلت



عليها قالت لي أُمِّي : تبا لك من ابن عم ، كيف تترك بنت عمك على غير استواء ، ولا تسأل عن مرضها .

فلما رأَتني ابنة عمي رفعت رأسها ، وقعدت وقالت لي : يا عزيز ، هل أنشدتها البيت الذي أخبرتك به ؟

قلت لها : نعم ، ولما سمعته بكيت ، وأنشدتني بيتا آخر وحفظته .
فقالت بنت عمي : أسمعني إياه .

فلما أسمعته إياه بكيت بكاء شديدا ، وأنشدت هذا البيت :

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد

له غير قلب في الصبابسة يجرع

ثم قالت ابنة عمي ، إذا ذهبت إليها على عادتك ، فأنشدها هذا البيت الذي سمعته .

فقلت لها : سمعا وطاعة .

ثم ذهبت إليها في البستان على العادة ، وكان بيننا ما كان ، مما يقصر عن وصفه اللسان ، فلما أردت الانصراف أنشدتها البيت ؛ فلما سمعته ، سألت مدامغها من المحاجر ، وأنشدت قول الشاعر :

فإن لم يجد صبيرا لكتمان سره

فليس له عندي سوى الموت أنفع

فحفظته وتوجهت إلى البيت ، فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها ، وأُمِّي جالسة عند رأسها . فلما سمعت كلامي ، فتحت عينيها وقالت : يا عزيز ، هل أنشدتها بيت الشعر ؟

قلت لها : نعم ، ولما سمعته بكيت ، وأنشدتني ذلك البيت : « فإن لم يجد صبيرا .. إلى آخره » .

فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانية ، فلما أفاقت أنشدت هذا البيت :

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا سلامى على من كان للوصل يمنع
ثم لما أقبل الليل مضيت إلى البستان على جرى عادتى ، فوجدت الصبية
فى انتظارى ، فجلسنا وأكلنا وشربنا وسهرنا ثم نمنا إلى الصباح . فلما
أردت الانصراف أنشدتها ما قالت ابنة عمى ، فلما سمعت ذلك صرخت
صرخة عظيمة ، وتضجرت وقالت : والله إن قائلة هذا الشعر قد ماتت .
ثم بكت وقالت لى : ويلك ، ما قرابة قائلة هذا الشعر لك ؟
قلت لها : إنها ابنة عمى .

قالت : كذبت ، والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل
ما عندها لك ؛ فأنت الذى قتلتها ، قاتلك الله كما قتلتها . والله لو أخبرتنى أن
لك ابنة عم ما قربتك منى .

فقلت لها : إن ابنة عمى هى التى كانت تفسر لى الإشارات التى كنت
تشيرين بها إلى ، وهى التى علمتنى ما أفعل معك ، وما وصلت إليك
إلا بحسن تدبيرها .

فقالت : وهل عرفت بنا ؟

قلت : نعم .

قالت : حسبك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها .

ثم قالت لى : رح انظرها .



فذهبت ونخاطري مشغول ، وما زلت ماشيا حتى وصلت إلى زقاقنا ،
فسمعت ضراخا ، فسألت عنه فتبيل : إن عزيزة وجدناها خلف الباب
ميتة .

ثم دخلت الدار ، فلما رأته أمي قالت ، تبأ لك من ابن عم ، إن
خطيئتها في عنقك ، فلا سأمحك الله من دمها .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٠

(فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة) قالت : بلغني أيها
الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك ، : ثم إن أبي جاء ، وجهزناها
وشيعنا جنازتها ودفناها ، وعملنا على قبرها الختمات ، ومكثنا على القبر
ثلاثة أيام . ثم رجعت إلى البيت وأنا حزين عليها ، فأقبلت على أمي وقالت
لي : إن قصدي أن أعرف ما الذي كنت تفعله معها حتى فقت مرارتها ؟
وإني يا ولدي كنت أسأها في كل الأوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني
به ، ولم تطلعني عليه ، فبالله عليك أخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى
ماتت .

فقلت : ما عملت شيئا .

فقالت : الله يقتص لها منك ، فإنها ما ذكرت لي شيئا ، بل كتمت أمرها
حتى ماتت وهي راضية . وحين ماتت كنت عندها ، ففتحت عينيها
وقالت لي : « يا امرأة عمي ، جعل الله ولدك في حل من دمي ، ولا آخذ
بما فعل معي ، وإنما نقلني الله من الدنيا الفانية ، إلى الآخرة الباقية » . فقلت
لها : « يا بنتي سلامتك وسلامة شبابك » . وصرت أسأها عن سبب

مرضها فما تكلمت ، ثم تبسمت وقالت : يا امرأة عمى ، إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذى اعتاد الذهاب إليه ، فقول له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » . وهذه شفقة منى عليه ، لأكون شفيقة عليه فى حياتى وبعد مماتى .

ثم أعطتنى لك حاجة ، وحلفتنى أنى لا أعطيك إياها حتى أراك تبكى وتنوح . والحاجة عندى ، فإذا رأيتك على الصفة التى ذكرتها ، أعطيتك إياها .

فقلت لها : أرينى إياها .

فما رضيت : ثم إنى اشتغلت بلذاتى ، ولم أعد أفكر فى موت ابنة عمى ؛ لأننى كنت طائش العقل ، وكنت أود فى نفسى أن أكون طول ليلى ونهارى عند محبوبتى . وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت إلى البستان ، فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار ، من كثرة الانتظار . فما صدقت أنها رأتنى حتى بادرت إلى ، وتعلقت برقبتى ، وسألتنى عن بنت عمى ، فقلت لها : إنها ماتت ، وعملنا لها الذكر والختمات ، ومضى لها أربع ليال ، وهذه الخامسة .

فلما سمعت ذلك صاحت وبكت ، وقالت : أما قلت لك إنك قتلتها ؟ ولو أعلمتنى بها قبل موتها لكنت كافأتها على ما فعلت معى من معروف ، فإنها خدمتنى وأوصلتك إلى ، ولولاها ما اجتمعت بك . وأنا خائفة عليك أن تقع فى مصيبة بسبب رزيتها .

فقلت لها : إنها قد جعلتنى فى حل قبل موتها .

ثم ذكرت لها ما أخبرتنى به أمى ، فقالت : بالله عليك إذا ذهبت إلى أمك ، فاعرف الحاجة التى عندها .

فقلت لها : إن أمي قالت لي : إن ابنة عمك قبل أن تموت أوصتني
وقالت لي : إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذي اعتاد الذهاب إليه ،
فقل لي هاتين الكلمتين : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » .

فلما سمعت الصبية ذلك قالت : رحمة الله عليها ، فإنها خلصتك مني ،
وقد كنت أضمرت ضررك ؛ فأنا لا أضرك ولا أشوش عليك .

فتعجبت من ذلك وقلت لها : وما الذي كنت تريد من قبل ذلك أن
تفعله معي ، وقد صار بيني وبينك مودة ؟ .

فقالت : أنت مولع بي ، لكنك صغير السن ، وقلبك خال من الخداع ،
فأنت لا تعترف بمكرنا ولا خداعنا ؛ ولو كانت على قيد الحياة لكانت معينة
لك ، فإنها سبب سلامتك ونجاتك من الهلكة ، والآن أوصيك أن لا تتكلم
مع واحدة ، ولا تخاطب واحدة من أمثالنا ، لا صغيرة ولا كبيرة ؛ فأياك ثم
إياك ذلك ، لأنك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن ؛ والتي كانت
تفسر لك الإشارات قد ماتت ، وإني أخاف عليك أن تقع في رزية ، فلا
تجد من يخلصك منها بعد موت ابنة عمك . .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح . .

١٢١

(فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة) قالت : بلغني أيها
الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم إن الصبية قالت :
فواحسرتاه على بنت عمك ، وليتنى علمت بها قبل موتها حتى كنت
أكافئها على ما فعلت معي من المعروف . رحمة الله تعالى عليها ، فإنها كتبت
سرّها ، ولم تبوح بما عندها ، ولولاها ما كنت تحمل إلى أبدا . وإني أشتي

عليك أمرا .

فقلت : ما هو ؟

قالت : أن توصلنى إلى قبرها ، حتى أزورها فى القبر الذى هى فيه ،
وأكتب عليه أبياتا .

فقلت لها : فى غد إن شاء الله تعالى .

ثم إنى نمت تلك الليلة ، وهى بعد كل ساعة تقول لى : ليتك أخبرتنى
بأبنة عمك قبل موتها .

فقلت لها : ما معنى هاتين الكلمتين اللتين قالتها ، وهما « الوفاء مليح ،
والغدر قبيح » .

فلم تجبني .

فلما أصبح الصباح قامت ، وأخذت كيسا فيه دنانير ، وقالت لى : قم
وأرني قبرها حتى أزوره ، وأكتب عليه أبياتا ، وأعمل عليه قبة ، وأترحم
عليها ، وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها .
فقلت لها : سمعا وطاعة .

ثم مشيت قدامها ، ومشيت خلفي . وصارت تتصدق وهى ماشية فى
الطريق ، وكلما تصدقت صدقة تقول : هذه الصدقة على روح عزيزة ،
التي كتمت سرها حتى شربت كأس مناياها ، ولم تبح بسر هواها .
ولم تنزل تتصدق من الكيس وتقول : « على روح عزيزة » . حتى
وصلنا القبر ، ونفذ ما فى الكيس . فلما عاينت القبر ألقت بنفسها عليه ،
وبكت بكاء شديدا ، ثم إنها أخرجت بيكارا (١) من الفولاذ ، ومطرقة

(١) البيكار والبركار : آلة ذات ساقين لرسم الدوائر « برجل » .

لطيفة ، وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ،
ورسمت هذه الأبيات :

مررت بقبر دَارِسٍ وسَطَ روضة
عليه من النعمان سَبْعُ شقائق
فقلت لمن ذا القبر ؟ جاوبنى الثرى
تأدَّبَ فهذا القبر برزْخُ عاشقٍ !
فقلت رعناك الله يا مَيِّتَ الهوى
وأسكنك الفردوس أعلى الشواهد
مساكين أهل العشق حتى قبورهم
عليها تراب النذل بين الخلائق
فإن أستطع زرعاً زرعتك روضة
وأسقيتها من دَمْعِي المتدافق !!

ثم بكيت بكاء شديدا ، وقامت وقمت معها ، وتوجهنا إلى البستان ،
فقالت لى : سألتك بالله أن لا تنقطع عني أبدا .
فقلت : سمعا وطاعة .

ثم إنى صرت أتردد عليها ، وكلما بت عندها تحسن إلى وتكرمنى ،
وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتها ابنة عمى عزيزة لأمى ، فأعيدهما لها .
وما زالت على هذه الحال من أكل وشرب ، وضم وعناق ، وتغيير ثياب من
الملابس الرقاق ، حتى غلظت وسمحت ؛ ولم يكن لى هم ولا غم ولا حزن ،
ونسيت ابنة عمى ومكثت مستغرقا فى تلك اللذات سنة كاملة . وعند
رأس السنة دخلت الحمام ، وأصلحت شأنى ، ولبست بذلة فاخرة ؛ ولما
خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب ، وشممت روائح قماشى
المعطر بأنواع الطيب ، وأنا خالى القلب من غدرات الزمان ، وطوارق



الحدثان . فلما جاء وقت العشاء ، اشتاقت نفسي إلى الذهاب إليها ، وأنا
سكران لا أدري أين أتوجه . فذهبت إليها ، فمال بي السكر إلى زقاق
لنقيب ؛ فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق ، إذ بعجوز ماشية ، وفي إحدى يديها
شمعة مضيئة ، وفي يدها الأخرى كتاب ملفوف .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب الذى اسمه عزيز قال لتاج الملوك : فلما دخلت الزقاق الذى يقال له زقاق النقيب ، مشيت فيه : فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق ، إذ بعجوز ماشية ، وفى إحدى يديها شمعة مضيئة ، وفى يدها الأخرى كتاب ملفوف . فتقدمت إليها وهى باكية العين ، وتنشد هذين البيتين :

لله در مبشرى بقدمكم
فلقد أتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبتسه
قلبا تمزق ساعة التوديع
فلما رأتنى قالت لى : يا ولدى هل تعرف أن تقرأ ؟
فقلت لها : نعم يا خالتي العجوز .
فقالت لى : خذ هذا الكتاب واقراه لى .

وناولتنى الكتاب ، فأخذته منها ، وفتحته وقرأته عليها ؛ ومضمونه أنه كتاب من عند الغياب ، بالسلام على الأحباب . فلما سمعته فرحت واستبشرت ، ودعت لى ، وقالت لى : فرج الله همك كما فرجت همى . . ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين ، وغلبنى حصر البول فقعدت فى مكان لأريق الماء . ثم إني قمت وتجمرت وأرخيت أثوابى ، وأردت أن أمشى ، وإذا بالعجوز قد أقبلت على ، وقبلت يدي ، وقالت لى : يا مولاي ، الله تعالى يهشك بشبابك ولا يفضحك ، أترجاك أن تمشى معى خطوات إلى ذلك الباب ، فإنى أخبرتهم بما أسمعنى إياه من قراءة الكتاب فلم يصدقونى ؛

فامش معى خطوتين ، واقراً لهم الكتاب من خلف الباب ، واقبل دعائى لك .

فقلت لها : وما قصة هذا الكتاب ؟

فقلت لى : يا ولدى ، هذا كتاب جاء من عند ولدى . وهو غائب عنى مدة عشر سنين ؛ فإنه سافر بمتجر ، ومكث فى الغربية تلك المدة ، فقطعنا الرجاء منه ، وظننا أنه مات .. ثم وصل إلينا منه هذا الكتاب ، وله أخت تبكى عليه فى مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار ، فقلت لها : « إنه طيب بخير » . فلم تصدقنى ، وقالت لى : « لا بد أن تأتىنى بمن قرأ هذا الكتاب ، فيخبرنى ، حتى يطمئن قلبى ، ويطيب خاطرى » . وأنت تعلم يا ولدى أن المحب مولع بسوء الظن ؛ فأنعم على بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة ، وأخته تسمع من داخل الباب ، لأجل أن يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة ، ونفّس عنه كربة ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : « من نفّس عن مكروب كربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة » . وأنا قصدتك فلا تخيبنى .

فقلت لها : سمعا وطاعة .

وتقدمت فمشيت قدامى ، ومشيت خلفها قليلا ، حتى وصلت إلى باب دار عظيمة ، وذلك الباب مصفح بالنحاس الأحمر . فوقفت خلف الباب ، وصاحت العجوز بالعجمية ، فما أشعر إلا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط ، وهى مشمرة قميصها إلى ركبتيها ، فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر ، وهى كما قال فى وصفها الشاعر :

يا من يشمر عن ساق ليعرضه

على المحبين حتى يفهم الباقى

وطاف يسعى بكأس نحو عاشقة

ما أفتن الناس غير الكأس والساقى

وزان ساقيا اللتين كأنهما عمودان من مرمر ، خلاخل الذهب
المرصعة بالجواهر ؛ وكانت الصبية مشمرة ثيابها إلى تحت إبطيها ، ومشمرة
عن ذراعيها ، فنظرت معاصمها البيض ، وفي يدها زوجان من أساور ، وفي
أذنيها قرطان من اللؤلؤ ، وفي عنقها عقد من ثمين الجواهر ، وعلى رأسها
كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص الثمينة . وقد بدت بهيئتها هذه كأنها
كانت تقوم بعمل ؛ فلما رأتني قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى
منه : يا أمي ، أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب ؟



فقلت لها ، نعم .
فمدت يدها إلى الكتاب ، وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة ؛
فمددت يدي لأتناول الكتاب ؛ وأدخلت رأسي وأكثافي من الباب لأقرب

منها ، فما أدري إلا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ودفعتني ،
ويدي ماسكة الباب ، فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل
الدهليز . ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ، ولم يكن لها شغل
إلا إقفال الباب .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغني أيها
الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم أن الصبية لما رأتني من داخل
الباب بالدهليز ، أقبلت علي ، وضمتني إلى صدرها . ثم أخذتني بيدها ، ولم
أقدر أن أتخلص منها ؛ ثم دخلت بي ، ودخلت العجوز قدامها والشمعة
مضيئة معها ، حتى قطعت سبع دهاليز . وبعد ذلك دخلت قاعة كبيرة
بأربعة إيوانات ، يلعب فيها الخيال بالأكر ؛ ثم أجلستنى وقالت لي : انظر .
فرأيت جميع بناء القاعة من أبهج المرمر ، وجميع فرشها من الديباج ،
وكذلك المخدات والمراتب ، وهناك مقعد من النحاس الأصفر ، وسرير من
الذهب الأحمر ، مرصع بالدر والجوهر ، لا يصلح إلا للملك . ثم قالت لي : يا
عزيز ، أي الخالتين أحب إليك : الموت أم الحياة ؟
فقلت لها : الحياة .

قالت : إذا كانت الحياة أحب إليك . فتزوج بي .

فقلت لها : أنا أكره أن أتزوج بمثلك .

فقلت لي : إن تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتملة .

فقلت لها : من هى بنت الدليلة المحتمالة ؟

فضحكت وقالت : كيف لا تعرفها ، وأنت لك فى صحبتها إلى اليوم سنة وأربعة أشهر ، أهلكها الله تعالى ! والله ما يوجد أمكر منها ، وكم قتلت شخصا قبلك ! وكم عملت عملة ! وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ، ولك فى صحبتها هذه المدة ؟

فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب ، فقلت لها : يا سيدتى ، ومن عرفك بها ؟

فقالت : أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه ؛ لكن قصدى أن تحكى لى بجميع ما وقع لك معها ، حتى أعرف ما سبب سلامتك منها . فحكيت لها ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة ؛ فترحمت عليها ، ودمعت عيناها ، ودقت يدا على يدا لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة ، وقالت : عوضك الله عنها خيرا يا عزيز ، فإنها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتمالة ، ولولاها لكنت هلكت . وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ، ولكن ما أقدر أن أتكلم .

فقلت لها : والله إن ذلك كله قد حصل .

فهزت رأسها وقالت : لا يوجد اليوم مثل عزيزة .

فقلت : وعند موتها أوصتنى أن أقول هاتين الكلمتين لا غير ، وهما : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » .

فلما سمعت ذلك منى قالت : يا عزيز ، والله إن هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها ، وبسببهما ما قتلتك ؛ فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة . والله إني كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا ، فلم أقدر على ذلك إلا فى هذا الوقت ، بعد أن تحايلت عليك بهذه الحيلة ، وقد تمت . وأنت الآن صغير ، لا تعرف مكر النساء ، ولا دواهى العجائز .

فقلت لها : لا والله .

فقالت لي : طب نفسا ، وقر عينا ، فإن الميت مرحوم ، والحى ملطوف به . وأنت شاب مليح ، وأنا ما أريدك إلا بسنة الله ورسوله ﷺ . ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ، ولا أكلفك بشيء أبدا . وأيضا عندي دائما الخبز مخبوز ، والماء فى الكوز .

ثم إنها صفقت بيدها وقالت : يا أمى ، أحضرى من عندك . وإذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول . ثم إنها أوقدت أربع شمعات ؛ فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا ، فقامت الصبية وأرخت عليها إزارا ، ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها . وقد كتبوا الكتاب ، وأشهدت على نفسها أنها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا ، وأن فى ذمتها لى عشرة آلاف درهم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم إنها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا ، فعند ذلك قامت الصبية ، وأتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب ، وأخذت بيدي إلى السرير . ثم نمنا إلى الصباح ، وأردت أن أخرج ، وإذا هى أقبلت على ضاحكة وقالت : هل تحسب أن دخول الحمام مثل خروجه ؟ وما أظن إلا أنك تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتمالة ؟ إياك وهذا الظن ، فما أنت إلا زوجى بالكتاب والسنة . وإن كنت سكران فأفق لعقلك ؛ إن هذه الدار التى أنت فيها ما تفتح إلا فى كل سنة

يوما . قم إلى الباب الكبير وانظره .

فقممت إلى الباب الكبير ، فوجدته مغلقا مسمرا ؛ فعدت وأعلمتها بأنه مغلق مسمر ، فقالت لي : يا عزيز ، إن عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ، ما يكفيننا أعواما عديدة ، ولا يفتح بابنا من هذه الليلة إلا بعد سنة .

فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فقالت : وأى شيء يضرك ؟

ثم ضحككت ، فضحككت أنا وطارعتها فيما قالت ، ومكثت عندها اثني عشر شهرا ؛ فلما أكملت السنة رزقت منها ولدا . وعند رأس السنة سمعت فتح الباب ، وإذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر ، فأردت أن أخرج فقالت : اصبر إلى وقت العشاء ، ومثل ما دخلت فاخرج .

فصبرت إلى وقت العشاء ، وأردت أن أخرج ، وأنا خائف مرجوف ؛ وإذا هي قالت : والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك أن تعود في هذه الليلة ، قبل أن يغلق الباب .

فأجبتها إلى ذلك ، وحلفتني بالأيمان الوثيقة على السيف والمصحف وبالطلاق ، أني أعود إليها .

ثم خرجت من عندها ، ومضيت إلى البستان ، فوجدته مفتوحا كعادته . فاغتظت وقلت في نفسي : إني غائب عن هذا المكان سنة كاملة ، والآن جئت على غفلة فوجدته مفتوحا . يا ترى هل الصبية باقية على حالها أولا ؟ لا بد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح إلى أمي ، وأنا الآن في وقت العشاء .

ثم دخلت البستان .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن عزيزا قال لتاج الملوك : ثم دخلت البستان ، ومشيت حتى أتيت إلى المقعد ، فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ، ورأسها على ركبته ، ويدها على خدها ، وقد تغير لونها ، وغارت عيناها . فلما رأتنى قالت : الحمد لله على السلامة .

وهمت أن تقوم ، فوقعت من فرحتها ؛ فاستحييت منها ، وطأطأت رأسي . ثم تقدمت إليها وقبلتها وقلت لها : كيف عرفت أنى أجىء إليك فى هذه الساعة ؟

قالت : لا علم لى بذلك . والله إن لى سنة لم أذق فيها نوما ، بل أسهر كل ليلة فى انتظارك . وأنا على هذه الحال ، من يوم خرجت من عندى ، وأعطيتك البذلة القماش الجديدة ، ووعدتنى أنك تجىء إلى . وقد انتظرتك فما أتيت أول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة ، فاستمررت منتظرة مجيئك ، والعاشق هكذا يكون ؛ وأريد أن تحكى لى ما سبب غيابك عنى هذه السنة .

فحكيت لها ، فلما علمت أنى تزوجت اصفر لونها ، ثم قلت لها : إنى أتيتك هذه الليلة ، وأروح قبل الصباح ؟

فقالت : أما كفاه أنها تزوجت بك ، وعملت عليك حيلة ، وحبستك عندها سنة كاملة ، حتى حلفتك بالطلاق أن تعود إليها قبل الصباح ، ولم تسمح لك بأن تتفسح عند أمك ولا عندى ، ولم يهن عليها أن تبيت عند إحدانا ليلة واحدة ؟ فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك (العاشق والمعشوق)

قبلها؟ ولكن رحم الله عزيزة، فإنها جرى لها ما لم يجر لأحد، وصبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها، وماتت مقهورة منك، وهي التي حمتك مني. وكنت أظنك تحبني فأطلقت سبيلك، مع أنني كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك.

ثم بكيت واغتاضت ونظرت إلى بعين الغضب، فلما رأيته على تلك الحال ارتعدت فرائصي، وخفت منها، وصرت مثل الفولة على النار. ثم قالت: ما بقيت فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد، فأنت لا تصلح لعشرتي، وقد بعثني بتلك العاهرة، والله لأحسرها عليك، وتصير لآل ولا لها؟

ثم صاحت، فما أدري إلا وعشر جوار أتين ورمينني على الأرض. فلما وقعت تحت أيديهن، قامت هي وأخذت سكيناً وقالت: لأذبحنك ذبح التيوس، ويكون هذا أقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك؟



فلما نظرت إلى نفسي وأنا تحت جواريتها، وتعفر نخدي بالتراب، ورأيت السكين في يدها، تحققت الموت. وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

(فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب عزيز قال لتاج الملوك : ثم استغثت بها فلم تزد إلا قسوة ، وأمرتهم أن يكتفنى ، فكتفنى ورمينى على ظهري ، وجلسن على بطنى وأمسكن رأسى . وقامت جاريتان فأمسكتا أصابع رجلى ، وجاريتان جلستا على قصبتى رجلى . وبعد ذلك قامت هى ومعها جاريتان ، فأمرتهم أن تضربانى ، فضربتانى حتى أغمى على ، وخفى صوتى . فلما استفقت قلت فى نفسى : « إن موتى مذبوحا أهون على من هذا الضرب » . وتذكرت كلمة ابنة عمى حيث قالت : « كفاك الله شرها » . فصراخت وبكيت حتى انقطع صوتى . ثم سئلت السكين وقالت للجوارى : اكشفن عنه .

فألهمنى الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتنى بهما ابنة عمى ، وهما : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » .

فلما سمعت ذلك صاحت وقالت : يرحمك الله يا عزيزة ، سلامة شبابك ! نفعت ابن عمك فى حياتك وبعد موتك .

ثم قالت لى : والله إنك خلصت من يدى بسبب هاتين الكلمتين . لكن لا بد أن أعمل فيك أثرا ، نكاية فى تلك العاهرة التى حجبتك عنى . ثم صاحت على الجوارى وقالت لهن : اركبن عليه .

وأمرتهم أن يربطن رجلى بالحبال ، ففعلن ذلك . ثم قامت من عندى وركبت طاجنا من نحاس على النار ، وصبت فيه سیرجا ، وقلت فيه جبنا ، وأنا غائب عن الدنيا . ثم رفعت يدها بموسى وخصتنى ، ثم كوت موضع

القطع ، وكبسته بذرور وأنا مغمى على . فلما أفقت كان الدم قد انقطع ، فأسقنتني قدحا من الشراب ، ثم قالت لي : رح الآن لمن تزوجت بها ، وبخلت عليّ بليلة واحدة . رحم الله ابنة عمك التي هي سبب نجاتك ، ولولا أنك أعمتني كلمتها لكنت ذبحتك . فاذهب في هذه الساعة لمن تشتهي . وأنا الآن ما بقى لي فيك رغبة ، ولا حاجة لي بك ، فقمي وترحمي على ابنة عمك .

ثم رفستني برجلها ، فقميت وما قدرت أن أمشي . فمشيت قليلا قليلا ، حتى وصلت إلى باب زوجتي ، فوجدته مفتوحا ، فرميت نفسي فيه ، وأنا غائب عن الوجود . وإذا بزوجتي خرجت وحملتني وأدخلتني القاعة ، فوجدتني مثل المرأة . فتمت واستغرقت في النوم ، فلما صحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان . وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٧

(فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب عزيز قال لتاج الملوك : فلما صحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان ، فقميت وأنا أتضجر ، ومشيت حتى أتيت منزلي ، فدخلت فيه ، فوجدت أُمِّي تبكي عليّ وتقول : يا ترى يا ولدي في أي أرض أنت ؟

فدنوت منها ، ورميت نفسي عليها . فلما نظرت إليّ ورأتني ، وجدتني على غير استواء ، وأصار على وجهي الأصفرار والسواد . ثم تذكرت ابنة عمي وما فعلت معي من المصروف ، وتحققت أنها كانت تحبني ، فبكيت

عليها ، وبكيت أُمى ثم قالت لى : يا ولدى إن والدك قد مات .

فازددت غيظا ، وبكيت حتى أغمى على . فلما أفقت نظرت إلى موضع ابنة عمى الذى كانت تقعد فيه ، فبكيت ثانيا حتى أغمى على من شدة البكاء . وما زلت فى بكاء ونحيب إلى نصف الليل ، فقالت لى أُمى : إن لو والدك عشرة أيام وهو ميت .

فقلت لها : أنا لا أفكر فى أحد أبدا غير ابنة عمى ، لأنى أستحق ما حصل لى ، حيث أهملتُها وهى تحببى .

فقالت : وما حصل لك ؟

فحكيت لها ما حصل لى : فبكيت ساعة . ثم قامت وأحضرت لى شيئا من المأكول ، فأكلت قليلا وشربت ، وأعدت لها قصتى ، وأخبرتها بجميع ما وقع لى ، فقالت لى : الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ..

ثم إنها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى ، فقالت لى : يا ولدى ، الآن أخرج لك الوديعة التى أودعتها عندى ابنة عمك ، فإنها لك ، وقد حلفتى أن لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها ، وتقطع علائقك من غيرها ؛ والآن وجدت فيك هذه الخصال .

ثم قامت وفتحت صندوقا ، وأخرجت منه هذه الخرقه التى فيها صورة الغزال ، وهى التى وهبتها لها أولا . فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الأبيات :

أقسمتم فؤادى فى الهوى وقعدتم

وأسهرتمو جفنى القسريخ وتتمسو

وقد خلتمو بين الفؤاد وناظرى

فلا القلب يسلسوكم ولو ذاب منكم

وعاهدتموني أنكم كاتمو الهوى
فأغراكم الواشى وقال وقتلتم
فبالله إخواني إذا مت فاكتبوا
على لوح قبري : إن هذا متيتم

فلما قرأت هذه الأبيات بكيت بكاء شديدا ، ولطمت على وجهي ،
وفتحت الرقعة ، فوقعت منها ورقة أخرى ، ففتحتها ، فإذا مكتوب فيها :
« اعلم يا ابن عمي أني جعلتك في حل من دمي ، وأرجو الله أن يوفق بينك
وبين من تحب . لكن إذا أصابك شيء من الدليلة المحتمالة ، فلا ترجع إليها ولا
لغيرها ؛ وبعد ذلك فاصبر على بليتك . ولولا أجلك المحتم لهلكت من
الزمان الماضي ؛ ولكن الحمد لله الذي جعل يومى قبل يومك . وسلامى
عليك . واحتفظ بهذه الخرقه التى فيها صورة الغزال ، ولا تفرط فيها ، فإن
تلك الصورة كانت تؤانسنى إذا غبت عنى .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها
الملك السعيد ، أن الشاب عزيزا قال لتاج الملوك : إن ابنة عمى قالت لى :
إن قدرت على من رسمت هذه الصورة ، ينبغي أنك تتباعد عن الدليلة
المحتالة ، ولا تجعلها تقرب منك ، ولا تتزوج بها . وإن لم تقدر عليها ، ولم تجد
لك سبيلا إليها ، فلا تقرب واحدة من النساء بعدها . واعلم أن التى رسمت
هذه الصورة ، ترسم فى كل سنة صورة مثلها ، وترسلها إلى أقصى البلاد ، لأجل
أن يشيع خبرها ، وحسن صنعها التى يعجز عنها أهل الأرض .

وأما محبوبتك الدليلة المحتالة ، فإنها لما وصلت إليها هذه الخرقه التي فيها صورة الغزال ، صارت تريها للناس وتقول لهم : « إن لي أختا تصنع هذا » . مع أنها كاذبة في قولها ، هتك الله سترها ! وما أوصيتك بهذه الوصية إلا لأنني أعلم أن الدنيا تضيق عليك بعد موتي ، وربما تتغرب بسبب ذلك ، وتطوف في البلاد ، وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتشوق نفسك إلى معرفتها . فاعلم أن الصبية التي رسمت هذه الصورة ، هي بنت ملك جزائر الكافور .

فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها ، بكيت وبكت أُمي لبكائي ؛ وما زلت أنظر إليها وأبكي إلى أن أقبل الليل . ولم أزل على تلك الحال مدة سنة ، وبعد السنة تجهز تجار من مدينتي إلى السفر — وهم هؤلاء الذين أنا معهم في القافلة — فأشارت عليّ أُمي أن أسافر معهم ، وقالت لي : لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن ، وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا ، حتى تعود القافلة ، فلعل صدرك ينشرح .

وما زالت تلاطفني بالكلام ، حتى جهزت متجرا وسافرت معهم ، وأنا لم تجف لي دمة مدة سفرى . وفي كل منزلة ننزل بها أنشر هذه الخرقه قدامى ، وأنظر إلى هذه الصورة ، فأذكر ابنة عمى ، وأبكي عليها كما ترانى ؛ فإنها كانت تحبني محبة زائدة ، وقد ماتت مقهورة منى ، وما فعلت معها إلا الضرر ، مع أنها لم تفعل معى إلا الخير . ومتى رجع التجار من سفرهم أرجع معهم ، وتكمل مدة غيابي سنة ، وأنا في حزن زائد .

وما زاد همى إلا لأننى جزت على جزائر الكافور ، وقلعة البلور ، وهى سبع جزائر ، والحاكم عليهم ملك يقال له « شهرمان » ، وله بنت يقال لها « دنيا » ، وقد قيل لي : إنها هى التى ترسم صور الغزلان ، وهذه الصورة التى معك من جملة تصويرها . فلما علمت ذلك زادت بي الأشواق ،

وغرقت في بحر الفكر والاحترق ، فبكيت على نفسي لأنى بقيت مثل المرأة
ولا حيلة لى . ومن يوم فراقى لجزائر الكافور ، وأنا باكى العين حزين
القلب ، ولى مدة على هذه الحال . وما أدري هل يمكننى أن أرجع إلى بلدى
وأموت عند والدتى أولا ، وقد شبت من الدنيا .

ثم بكى ، وأن واشتكى ، ونظر إلى صورة الغزال ، وجرى دمه على
خده وسال ، وأنشد هذين البيتين :

وقائل قال لى : لا بد من فرج

فقلت للغيط : كم لا بد من فرج

فقال لى : بعد حين ، قلت يا عجبى

من يضمن العمر لى يا بارد الحجاج ؟

وهذه حكايتى أيها الملك .

فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب ، تعجب غاية العجب ، وانطلقت في
فؤاده النيران ، حين سمع بجمال السيدة دنيا .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها
الملك السعيد ، أن تاج الملوك قال للشاب : والله لقد جرى لك شيء ما
جرى لأحد مثله ؛ ولكن هذا تقدير ربك ، وقصدي أن أسألك عن شيء .
فقال عزيز : وما هو ؟

فقال : تصف لى كيف رأيت الصبية التى رسمت صورة الغزال ؟
فقال : يا مولاي : إني توصلت إليها بحيلة ؛ وهى إني لما دخلت مع

القافلة إلى بلادها، كنت أخرج وأدور في البساتين، وهى كثيرة الأشجار، وحارس البساتين شيخ طاعن فى السن، فقلت له: « يا شيخ لمن هذه البساتين؟ ». فقال لى: « لابنة الملك السيدة دنيا، ونحن تحت قصرها؛ فإذا أردت أن تتفرج فافتح باب السر وتفرج فى البستان، فتشم رائحة الأزهار ». فقلت لها: « أنعم على بأن أقعد فى هذا البستان حتى تمر، لعلى أحظى منها بنظرة ». فقال الشيخ: « لا بأس فى ذلك ». فلما قال ذلك أعطيته بعض الدراهم، وقلت له: اشتر لنا شيئاً نأكله. ففرح بأخذ الدراهم، وفتح الباب، وأدخلنى معه؛ وسرنا وما زلنا سائرين، إلى أن وصلنا إلى مكان لطيف، وأحضر لى شيئاً من الفواكه اللطيفة، وقال لى اجلس هنا حتى أذهب وأعود إليك. وتركنى ومضى، فغاب ساعة ثم رجع، ومعه خروف مشوى، فأكلنا حتى اكتفيننا، وقلبنى مشتاق إلى رؤية الصبية. فبينما نحن جالسون، إذ بالباب قد انفتح، فقال لى: « قم اختف ». فقممت واختفيت، وإذا بطواشى أسود أخرج رأسه وقال: يا شيخ، هل عندك أحد؟ فقال: لا.

فقال له: أغلق الباب.

فأغلق الشيخ باب البستان، وإذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب، وسارت فى البستان. فلما رأيته ظننت أن القمر نزل فى الأرض، فاندھش عقلى، وصرت مشتاقاً إليها كاشتياق الظمآن إلى الماء. وبعد ساعة عادت وأغلفت الباب؛ فعند ذلك خرجت أنا من البستان، وقصدت إلى الموضع الذى كنت أقيم فيه، وعرفت أنى لا أصل إليها، ولا أنا من رجالها، لأنى صرت مثل المرأة. كما قلت لى نفسى: إن هذه ابنة ملك، وأنا رجل تاجر،

فمن أين لي أن أصل إليها؟

فلما تجهز أصحابي للرحيل، تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة، فلما وصلنا إلى هذا الطريق اجتمعنا بك، وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام.



فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام، اشتعل قلبه بحب السيدة دنيا. ثم ركب جواده، وأخذ معه عزيزا، وتوجه به إلى مدينة أبيه، وأفرد له دارا، ووضع له فيها كل ما يحتاج إليه. ثم تركه ومضى إلى قصره، ودموعه جارية

على حدوده ، لأن السماع يحل محل النظر والاجتماع . وما زال تاج الملوك على تلك الحال حتى جاء أبوه ، فوجده متغير اللون ، فعلم أنه مهموم ومغموم ، فقال له : يا ولدى ، أخبرنى عن حالك وما جرى لك . فأخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من أولها إلى آخرها ، وكيف عشقها على السماع ، ولم ينظرها بالعين . فقال له والده : يا ولدى ، إن أباه ملك وبلاده بعيدة عنا ، فدع عنك هذا وادخل قصر أمك .. وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٠

(فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن والد تاج الملوك قال له : يا ولدى دع عنك هذا ، وادخل قصر أمك ، فإن فيه خمسمائة جارية كالأقمار ، فمن أعجبتك منهن فخذها ، وإن لم تعجبك جارية منهن فخطب لك بنتا من بنات الملوك ، تكون أحسن من السيدة دنيا . فقال له : يا ولدى ، لا أريد غيرها ، وهى التى رسمت صورة الغزال التى رأيته ، فلا بد منها وإلا فإنى أهيم فى البرارى ، وأقتل نفسى بسببها . فقال له أبوه : يا ولدى أمهلنى حتى أرسل إلى أبيها ، وأخطبها منه وأبلغك المرام ، مثل ما فعلت لنفسى مع أمك ؛ وإن لم يرض زلزلت عليه مملكته ، وجردت عليه جيشا يكون آخره عندى وأوله عنده . ثم دعا بالشباب عزيز وقال له : يا ولدى هل تعرف الطريق ؟

قال : نعم .

قال له : أشتي منك أن تسافر مع وزيرى .

فقال له عزيز : سمعا وطاعة يا ملك الزمان .

ثم أحضر وزيره وقال له : دبر لى أمر ولدى كما تعرف ، واذهب إلى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها .

فأجابه الوزير بالسمع والطاعة . ثم عاد تاج الملوك إلى منزله وقد زادت به الأمراض والحسرات ، وحين جن عليه الليل أنشد هذه الأبيات :

جَنُّ الظُّلَامِ ودمعى زائد المددِ

والوجه من شدة النيران فى كَبَدِ (١)

سلوا الليالى عنى وهى تخبركم

إن كان يُرثى لقلب فى الهوى كمدِ

أبيت أرعى نجوم الليل فى سهر

والدمع منهمل فى الخد كالبرد

وقد بقيت وحيدا ليس لى أحد

كمشل صبّ بلا أهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ، ولم يفق إلا وقت الصباح . فلما أصبح الصباح جاء إليه أبوه فرآه قد تغير لونه ، وزاد اصفراره ، فصبره ووعدته بجمع ثمنه . ثم جهز عزيزا مع وزيره وبعض أتباعه وأعطاهم الهدايا ، فسافروا أياما وليالى ، إلى أن أشرفوا على جزائر الكافور ، فأقاموا على شاطئ نهر ؛ وأنفذ الوزير رسولا من عنده إلى الملك ليخبره بقدمهم .

(١) الكبَد : المشقة والشدة .

وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم ، لم يشعروا إلا وحجاب الملك وأمرأؤه قد أقبلوا عليهم ، ولا قوهم من مسيرة فرسخ ؛ فتلقوهم وساروا في خدمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك ، فقدموا له الهدايا ، وأقاموا عنده أربعة أيام . وفي اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ، ووقف بين يديه ، وحدثه بحديثه ، وأخبره بسبب مجيئه ؛ فصار الملك متحيرا في رد الجواب ، لأن ابنته لا تحب الزواج . وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه إلى بعض الخدم وقال له : اذهب إلى سيدتك دنيا ، وأخبرها بما سمعت ، وبما جاء به هذا الوزير .

فقام الخادم وغاب ساعة ، ثم عاد إلى الملك وقال له : يا ملك الزمان ، إنى لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت ، فغضبت غضبا شديدا ، ونهضت إليّ بعصا ، وأرادت كسر رأسي ، فقررت منها هاربا . وقالت لي : إن كان أبى يغصبنى على الزواج ، فالذى أتزوج به أقتله وأقتل نفسى . فقال أبوها للوزير وعزيز : سلما على الملك ، وأخبراه بذلك ، وأن ابنتى لا تحب الزواج . وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣١

(فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الملك شهرمان لما قال للوزير وعزيز ذلك الكلام ، رجع الوزير ومن معه من غير فائدة ، وما زالوا مسافرين إلى أن دخلوا على الملك وأخبروه . فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر إلى السفر من أجل الحرب والجهاد ، فقال له الوزير : لا تفعل ذلك ، فإن الملك لا ذنب له ،

وإنما الامتناع من ابنته ، فإنها حين علمت بذلك أرسلت تقول : إن غصبنى
أبى على الزواج ، أقتل من أتزوج به ، وأقتل نفسى بعده .

فلما سمع الملك كلام الوزير ، خاف على ولده تاج الملوك ، وقال : إن
حاربت أباهما وظفرت بابنته ، قتلت نفسها .

ثم إن الملك أعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الأمر . فلما علم بذلك قال
لأبيه : يا والدى ، أنا لا أطيق الصبر عنها ، فأنا أروح إليها ، وأتسبب فى
اتصالى بها ولو أموت ، ولا أفعل غير هذا .

فقال له أبوه : وكيف تروح ؟

فقال : أروح فى صفة تاجر .

فقال الملك : إن كان ولا بد ، فخذ معك الوزير وعزير .

ثم إنه أخرج شيئاً من خزانته ، وهياً له متجراً بمائة ألف دينار . فلما جاء
الليل . ذهب تاج الملوك وعزير إلى منزل الوزير ، وباتا هناك تلك الليلة ،
وصار تاج الملوك ميسلوب الفؤاد ، ولم يطب له أكل ولا رقاد ، وهجمت
عليه الأفكار ، وغرق منها فى بحار ، وهزه الشوق إلى محبوبته ، فأفاض دمع
العين ، وأنشد هذين البيتين :

ترى هل لنا بعد البعاد وصول

فأشكو إليكم صبوتى وأقول

تذكرتكم والليل ناء صباحه

وأسهـرتمونى والأنام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً ، وبكى معه عزير ، وتذكر ابنه
عمه ، وما زال يبكيان إلى أن أصبح الصباح . ثم قام تاج الملوك ودخل على
والدته ، وهو لا بس أهبة السفر ، فسألته عن حاله ، فأخبرها بحقيقة الأمر ،
فأعطته خمسين ألف دينار ، ثم ودعته وخرج من عندها بعد أن دعت له

بالسلامة ، والاجتماع بالأحباب . ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل ، فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار ، وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة ، وأقاموا فيها يومين ، ثم سافروا ، واستأنس تاج بعزير ، وقال له : يا أخى ، أنا ما بقيت أظيق أن أفارقك .

فقال عزير : وأنا كذلك ، ولكن يا أخى قلبى اشتغل بوالدتى .

فقال له تاج الملوك : حينما نبلغ المرام لا يكون إلا خير .

وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار ، وصار عزير ينشد له الأشعار ، ويحدثه بالتواريخ والأخبار . ولم يزلوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين ، فطالت الطريق على تاج الملوك ، واشتد عليه الغرام ، وزاد به الوجد والهيام . فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح ، وزال عنه الهم والترح . ثم دخلوا وهم فى هيئة التجار ، وابن الملك فى زى تاجر . ثم أتوا إلى مكان يعرف بمنزل التجار ، وهو خان عظيم ، فقال تاج الملوك لعزير : أهذا منزل التجار ؟

قال عزير : نعم ، ولكنه غير الخان الذى كنت نزلت فيه أنا والقافلة التى كنت معها ، إلا أن هذا المكان أحسن منه .

فأناخوا فيه مطيهم ، وحطوا رحالهم ، وخزنوا أمتعتهم فى المخازن ، وأقاموا للراحة أربعة أيام . ثم إن الوزير أشار عليهم أن يكتروا لهم دارا كبيرة ، فأجابوه واكتروا لهم دارا متسعة معدة للأفراح ، فنزلوا فيها . وأقام الوزير وعزير يدبران حيلة من أجل تاج الملوك ، وصار تاج الملوك متحيرا لا يدرى ماذا يفعل ، ولم يجد له حيلة .

ثم إن الوزير أقبل على تاج الملوك وعزير وقال لهما : اعلمنا أنه إن كان مقامنا على هذه الحال ، فإننا لا نبلغ مرادنا ، ولا يحصل مطلوبنا ، وقد خطر ببالى شيء ، ولعله فيه الصلاح إن شاء الله تعالى .



فقال له تاج الملوك وعزيز : افعل ما بدا لك ، فإن الشيوخ فيهم البركة ، لا سيما أنك قد مارست الأمور ، فأشر علينا بما خطر ببالك .

فقال لتاج الملوك : الرأي عندي أننا نشتري لك دكانا في سوق البز^(١) ، وتقعد فيه للبيع والشراء ، لأن كل واحد من الخاص والعام يحتاج إلى البز . وإذا قعدت في ذلك الدكان ينصلح أمرك إن شاء الله تعالى ، وبخاصة أن صورتك جميلة . ولكن اجعل عزيزا أميناً عندك ، واجعله في داخل الدكان ليناولك الأقمشة .

فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال : إن هذا رأى سديد .

(١) البز : الحرير .

فعند ذلك أخرج تاج الملوك بذلة تجارية ، ولبسها ، وقام يمشى وغلماؤه خلفه ، وأعطى لأحدهم ألف دينار معه ليقضى بها مصالح الدكان ، وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى سوق البز . فلما رأى التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله ، تحيرت عقولهم ، وصاروا يقولون : هل فتح رضوان أبواب الجنة ، وسبها عنها ، فخرج هذا الشاب البديع الحسن ؟ وبعضهم يقول : لعل هذا من الملائكة .

فلما دخلوا عند التجار ، سألوا عن دكان شيخ السوق ، فدلّوهم عليه ، فتوجهوا إليه . فلما قربوا قام إليهم هو ومن معه من التجار ، وعظموهم وبخاصة الوزير الأجل ، فإنهم رأوه رجلا كبيرا مهوبا ، ومعه تاج الملوك وعزيز . فقال التجار بعضهم لبعض . لا شك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين .

فقال الوزير : من شيخ السوق فيكم ؟

فقالوا : ها هو ذا .

فنظر إليه الوزير وتأمله ، فرآه رجلا كبيرا ، صاحب هبة ووقار ، وخدم وغلماؤه . ثم إن شيخ السوق حياهم تحية الأحباب ، وبالغ في إكرامهم ، وأجلسهم جنبه ، وقال لهم : هل لكم حاجة نفوز بقضائها ؟ فقال الوزير : إني رجل كبير طاعن في السن ، ومعى هذان الغلامان ، وسافرت بهما سائر الأقاليم والبلاد ، وما دخلت بلدة إلا قمت بها سنة كاملة ، حتى يتفرجا عليها ، ويعرفا أهلها . وإني قد أتيت بلدكم هذا واخترت المقام فيه ، وأشتهى منك دكانا يكون في أحسن المواضع ، حتى أجلسهما فيه ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ، ويتخلقا بأخلاق أهلها ، ويتعلما البيع والشراء ، والأخذ والعطاء .

فقال شيخ السوق : لا بأس في ذلك .

(العاشق والمعشوق)

ثم نظر إلى الولدين وفرح بهما وأحبهما حبا زائدا ، ثم قام واقفا في خدمتهما كالغلام بين أيديهما . وبعد ذلك سعى وهيا لهما الدكان ، وكان وسط السوق ، ولم يكن به أكبر منه ، ولا أوجه منه عندهم ، لأنه كان متسعا مزخرفا فيه رفوف من عاج وأبنوس . ثم سلم المفاتيح للوزير وهو في صفة تاجر ، وقال : جعله الله مباركا على ولديك .

فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان ، توجه إليه هو والغلمان ، ووضعوا فيه أمتعتهم ، وأمروا غلمانهم أن ينقلوا إليه جميع ما عندهم من البضائع والقماش .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٢

(فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير أمر غلمانه أن ينقلوا البضائع والقماش ، وكان ذلك يساوي خزائن مال . فنقلوا جميع ذلك إلى الدكان ، وباتوا تلك الليلة . فلما أصبح الصباح ، أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام . فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم ، وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر . فصار في الحمام على حد قول الشاعر :

بشرى لقيمه إذ لامست يده

جسما تولد بين الماء والنور

ما زال يظهر لطفا من صناعته

حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام ، وكان شيخ السوق في انتظارهما ، وإذا بهما قد

أقبلا وهما كالغزالين ، أو كأنهما غصنان مثمران ، أو قمران زاهيان ؛ فقال لهما : يا ولديَّ حمامكما نعيم دائم .

فقال تاج الملوك بأعذب كلام : ليتك كنت معنا .

ثم إن الاثنين قبلا يديه ، ومشيا قدامه ، حتى وصلا إلى الدكان ، تعظيما له لأنه كبير السوق ، وقد أحسن إليهما بإعطائهما الدكان . ثم أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا ، وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام . فلما دخل شيخ السوق إلى الحمام ثانی مرة ، سمع الوزير بدخوله ، فخرج إليه من الخلوة ، واجتمع به في وسط الحمام ، وعزم عليه فامتنع ، فأمسك بإحدى يديه تاج الملوك ، ويده الأخرى عزيز ، وحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره ، وحلف عزيز أن لا يصب الماء غيره ، فقال له الوزير : إنهما ولداك .

فقال شيخ السوق : أبقاهما الله لك ! لقد حلت في مدينتنا البركة والسعود ، بقدمكم وقدم أتباعكم .

ثم أنشد هذين البيتين :

أقبلت فاخضرت لدينا الربا

وقد زهت بالزهر للمجتلي

ونادت الأرض ومن فوقها

أهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك . وما زال تاج الملوك يحميه ، وعزيز يصب عليه الماء ، وهو يظن أنه في الجنة ، حتى أتتا خدمته ، فدعا لهما ، وجلس بجانب الوزير . ثم بعد ذلك جاء لهم الغلمان بالمناشف ، فتشفوا ولبسوا ملابسهم ، ثم خرجوا من الحمام ، فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له : يا سيدي ، إن الحمام نعيم الدنيا .

فقال شيخ السوق : حماء الله لولدك عافية ، وكفاهما الله العين ،
فهل يحفظون شيئاً مما قاله البلاء في الحمام ؟
إن عيش الحمام أخصيب عيش

غير أن المقسم فيسه قليل
جنسه تكسره الإقامة فيها

وجحيم يطيب فيه الدخول
فلما فرغ تاج الملوك من شعره ، قال عزيز : وأنا أحفظ في الحمام شيئاً .
فقال شيخ السوق : أسمعني إياه .
فأنشد هذين البيتين :

وبيت له من جامد الصخر أزهار
أنيق إذا ما أضربت حوله النار
نراه جحيماً وهو في الحق جنّة
وأكثر ما فيها شمس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره ، تعجب شيخ السوق من شعرهما
وفصاحتهم ، وقال لهما : والله لقد حزتما الفصاحة والملاحاة ، فاسمعا أنتم
منى .

ثم أطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :
يا حسن نار والنسيم عذابها
تحيا بها الأرواح والأبدان
فاعجب لبيت لا يزال نعيمه
غضاً وثوقيد تحته النيران
عيش السرور لمن ألسم به وقد
سفحت عليه دموعها الجدران

ثم سرح في رياحين الحسن نظر العين ، وأنشد هذين البتين :
وافيت منزله فلم أر حاجباً
إلا ويلقاني بوجهه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمة

فشكرت رضوانا ورأفة مالك
فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الآيات . ثم إن شيخ السوق عزم
عليهم فامتنعوا ، ومضوا إلى منزلهم ليستربحوا من تعب الحمام . ثم أكلوا
وشربوا ، وباتوا تلك الليلة في منزلهم في أتم ما يكون من الحظ والسرور .
فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم ، وتوضئوا وصلوا فرضهم
واصطبحوا . ولما طلع النهار ، وفتحت الدكاكين والأسواق ، خرجوا من
المنزل ، وتوجهوا إلى السوق ، وفتحوا الدكان ، وكان الغلمان قد هيشوه
أحسن هيئة ، وفرشوه بالبسط الحرير ، ووضعوا فيه مرتبتين ، كل واحدة
منهما تساوي مائة دينار ، وجعلوا فوق كل مرتبة نطعاً^(١) ملوكياً ، له
دائرة من الذهب ، فجلس تاج الملوك على مرتبة ، وجلس عزيز على
الأخرى ، وجلس الوزير في وسط الدكان ، ووقف الغلمان بين أيديهم .
وتسامع بهم الناس فازدحموا عليهم ، وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر
تاج الملوك في المدينة ، واشتهر فيها حسنه وجماله . ثم أقاموا على ذلك أياماً ،
وفي كل يوم يهرع الناس إليهم . فأقبل الوزير على تاج الملوك ، وأوصاه
بكتان أمره ، وأوصى عزيزاً به ، ومضى إلى الدار ليدبر أمراً يعود نفسه
عليهم ، وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان ، وتاج الملوك يقول : عسى أن
يجيء أحد من عند السيدة دنيا .

(١) النطع : الفراش من الجلد .

وما زال تاج الملوك على ذلك أياما وليالى ، وهو لا ينام ، وقد تمكن منه الغرام ، وزاد به النحول والأسقام ، حتى حرم لذيق المنام ، وامتنع عن الشراب والطعام ، ومع ذلك فإنه كان كالبدور فى ليلة التمام . فبينما تاج الملوك جالسا ، إذ بعجوز أقبلت عليه .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن العجوز أقبلت عليه ، وتقدمت إليه وخلفها جاريتان ، وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك ، فرأت قداه واعتداله ، وحسنه وجماله ، فتعجبت من ملاحظته ، ثم قالت : سبحان من خلقك من ماء مهين ، سبحان من جعلك فتنة للعالمين .

ولم تنزل تتأمل فيه وتقول : ما هذا بشرا ، إن هذا ملك كريم .
ثم دنت منه ، وسلمت عليه ؛ فرد عليها السلام ، وقام لها واقفا على الأقدام ، وتبسم فى وجهها — وهذا كله بإشارة عزيز — ثم أجلسها إلى جانبه ، وصار يروِّح (١) عليها إلى أن استراحت . ثم إنها قالت لتاج الملوك : يا ولدي ، يا كامل الأوصاف والمعاني ، هل أنت من هذه الديار ؟

فقال تاج الملوك بكلام فصيح ، عذب مليح : والله يا سيدتى عمرى ما دخلت هذه الديار إلا هذه المرة ، ولا أقمت فيها إلا على سبيل الفرجة .

(١) يروِّح عليها : أى يحرك فى يده بالمروحة لئلا يتجلب لها الريح .



فقلت : لك الإكرام من قادم ، على الرحب والسعة . ما الذى جئت به
معدك من القماش ؟ فأرني شيئاً مليحاً ، فإن المليح لا يحمل إلا المليح .
فلما سمع من تاج الملوك كلامها ، تخفق فؤاده ، ولم يفهم معنى
كلامها ؛ فغمزه عزيز بالإشارة ، فقال لها تاج الملوك ، : عندي ما تشتهين ،
من الذى لا يصلح إلا للملوك وبنات الملوك . فلمن تريدن حتى أعرض
عليك ما يصلح لأربابه ؟
وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها ، فقلت له : أريد قماشاً
يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان .

فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته ، فرح فرحا شديدا ، وقال لعزير :
اثنى بأفخر ما عندك من البضاعة .

فأتاه عزير ببقعة ، وحلها بين يديه ، فقال لها تاج الملوك : اختارى ما
يصلح لها ، فإن هذا الشيء لا يوجد عند غيرى .

فاختارت العجوز شيئا يساوى ألف دينار ، وقالت بكم هذا ؟
فقال لها : وهل أساوم مثلك فى هذا الشيء الحقير ؟ الحمد لله الذى
عرفنى بك .

فقالت له العجوز : أعيد وجهك المليح برب الفلق . إن وجهك مليح ،
هنيئا لمن تضم قوامك الرجيع ، وتحظى بوجهك الصبيح وخاصة إذا
كانت صاحبة حسن مثلك .

فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ، ثم قال فى نفسه : يا قاضى
الحاجات ، على أيدى العجائز الفاجرات .

فقالت : يا ولدى ما الاسم ؟

قال : اسمى تاج الملوك .

فقالت : إن هذا الاسم من أسماء الملوك ، ولكنك فى زى التجار .

فقال لها عزير : من محبته ومعزته عليهم ، سموه بهذا الاسم .

فقالت العجوز : صدقت ، كفاكم الله شر الحساد ، ولسوف فتت
بمحاسنكما الأكباد .

ثم أخذت القماش وهى باهتة من حسنه وجماله ، وقده واعتداله ؛ ولم
تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا ، وقالت لها : يا سيدتى جئت لك
بقماش مليح .

فقالت لها : أرينى إياه .

فقالت : يا سيدتى ها هو ذا ، فقلبيه وانظريه .

فلما رأته السيدة نيا قالت لها : يا (دادتي) إن هذا القماش مليح ، ما رأيته في مدينتنا .

فقالت العجوز : يا سيدتي إن بئعه أحسن منه ، كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها ، فخرج منها التاجر الذي يبيع هذا القماش . وأنا أشتري في هذه الليلة أن يكون عندك ، فإنه فتنة لمن يراه ؛ وقد جاء مدينتنا بهذه الأقمشة لأجل الفرجة .

فضحككت السيدة دنيا من كلام العجوز ، وقالت : أخزأك الله يا عجوز النحس ، إنك خرفت ولم يبق لك عقل . ثم قالت : هاتي القماش حتى أبصره جيدا .

فناولتها إياه ، فنظرته ثانية ، فرأته شيئا قليلا وثمنه كثيرا . وتعجبت من حسن ذلك القماش لأنها ما رأت في عمرها مثله ، فقالت لها العجوز : يا سيدتي ، لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن من يكون على وجه الأرض . فقالت لها السيدة دنيا : هل سألته إن كانت له حاجة يعلمنا بها فنقضها له ؟

فقال العجوز ، وقد هزت رأسها : حفظ الله فراستك ، والله إن له حاجة ، وهل يخلو أحد من حاجة ؟

فقالت لها دنيا : اذهبي إليه ، وسلمي عليه ، وقولي له : شرفت بقدمك مدينتنا ، ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك على الرأس والعين .

فرجعت العجوز إلى تاج الملوك في الوقت ؛ فلما رآها طار قلبه من الفرح ، ونهض لها قائما على قدميه ، وأخذ يدها وأجلسها إلى جانبه . فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا ؛ فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح ، واتسع صدره وانشرح ، وقال في نفسه : قد قضيت حاجتي .

ثم قال للعجوز : لعلك توصلين إليها كتابا ، وتأتينى بالجواب ؟
فقلت : سمعا وطاعة ؟

فلما سمع ذلك منها قال لعزیز : ائتنى بدواة وقرطاس ، وقلم من نحاس .
فلما أتاه بتلك الأدوات ، كتب هذه الأبيات :

كتبت إليك يا سؤلى كتابا
بما ألقاه من ألم الفراق
فأول ما أسطر : نار قلبى
وثانيه : غرامى واشتياق
وثالثه : مضى عمري وصبرى
ورابعه : جميع الوجد باق
وخامسه : متى عينى تراكم
وسادسه : متى يوم التلاق

ثم كتب فى إمضائه : إن هذا الكتاب من أسير الأشواق ، المسجون فى
سجن الاشتياق ، الذى ليس له إطلاق ، إلا بالوصال ، ولو بطيف الخيال ،
لأنه يقاسى ألم العذاب ، من فراق الأحباب .

ثم أفاض دمع العين ، وكتب هذين البيتين :

كتبت إليك والسعرات تجرى

ودمع العين ليس له انقطاع

ولست ييسئ من فضل ربي

عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه ، ودفعه للعجوز وقال : أوصليه إلى السيدة

دنيا .

فقلت له : سمعا وطاعة .

ثم أعطها ألف دينار ، وقال : اقبلي مني هذه الهدية .
فأخذتها وانصرفت داعية له ، ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة
دنيا . فلما رأتها قالت لها : أى شيء طلب من الحوائج حتى نقضيها له ؟
فقالت لها : يا سيدتي ، قد أرسل معي كتابا ، ولا أعلم بما فيه .
ثم ناولتها الكتاب ، فأخذته وقرأته وفهمت معناه ، ثم قالت : من أين
وإلى أين ، حتى يرأسلني هذا التاجر ويكاتبنى ؟
ثم لطمت وجهها وقالت : لولا خوفا من الله تعالى لصلبته على دكانه .
فقالت العجوز : وأى شيء في هذا الكتاب أزعج قلبك ؟ هل فيه
شكاية أو مظلمة ، أو فيه طلب ثمن القماش ؟
فقالت لها : ويلك ما فيه إلا عشق ومحبة ، وهذا كله منك ، وإلا فمن
أين يتوصل هذا الشيطان إلى هذا الكلام ؟
فقالت لها العجوز : يا سيدتي ، أنت قاعدة في قصرك العالى ، وما يصل
إليك أحد ، ولا الطير الطائر . سلامتك من اللوم والعتاب ، وما عليك من
نباح الكلاب . فلا تؤاخذيني حيث أتيتك بهذا الكتاب ، ولا أعلم ما فيه ،
ولكن الرأى السديد أن تردى إليه جوابا ، تهددينه فيه بالقتل ، وتنهينه عن
هذا الهذيان ، فإنه ينتهى ولا يعود .

فقالت السيدة : أخاف أن أكتبه فيطمع .

فقالت العجوز ، إذا سمع التهديد والوعيد ، رجع عما هو فيه .

فقالت ، على بدوة وقرطاس ، وقلم من نحاس .

فلما أحضروا لها تلك الأدوات ، كتبت هذه الأبيات :

يا مدعى الحبِّ والبلوى مع السهرِ

وما يلاقيه من وجد ومن فكرٍ

أتطلب النوصل يا مشرور من قمر
وهل ينال المنى شخص من القمر
إني نصحتك عسا أنت طالبه
فاقصر فإنك في هذا على خطر
وإن رجعت إلى هذا الكلام فقد
أتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الإنسان من علق
ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت إلى ما أنت ذاكره
لأصلبك في جذع من الشجر



ثم طوت الكتاب وأعطت العجوز إياه ، قالت لها : ادفعيه إليه ، وقولي
: كفى عن هذا الكلام .
فبالت لها : سمعا وطاعة .
ثم أخذت الكتاب وهي فرحانة ، ومضت إلى منزلها ، وباتت في بيتها .

فلما أصبح الصباح ، توجهت إلى دكان تاج الملوك ، فوجدته في انتظارها ؛ فلما رآها كاد يطير من الفرع . فلما قربت منه ، نهض إليها قائما ، وأقعدتها بجانبه ، فأخرجت له الورقة ، وناولته إياها ، وقالت له : اقرأ ما فيها . ثم قالت له : إن السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ، ولكنني لطفتها ومازحتها حتى أضحكته ، ورقت لك وردت الجواب . فشكرها تاج الملوك على ذلك ، وأمر عزيزا أن يعطيها ألف دينار . ثم إنه قرأ الكتاب وفهمه ، وبكى بكاء شديدا ، فرق له قلب العجوز ، وعظم بكاؤه وشكواه ، ثم قالت له : يا ولدى ، وأى شيء فى هذه الورقة أبكاك ؟ فقال لها : إنها تهددنى بالقتل والصلب ، وتنهى عن مراسلتها . وإن لم أرسلها يكون موتى خيرا من حياتى ، فخذى جواب كتابها ، ودعها تفعل ما تريد .

فقالت له العجوز : وحياة شبابك لا بد أنى أخطر معك بروحى ، وأبلغك مرادك ، وأوصلك إلى ما فى خاطرك . فقال لها تاج الملوك : كل ما تفعلينه أجازيك عليه ، ويكون فى ميزانك ؛ فإنك خبيرة بالسياسة ، وعارفة بأبواب الكياسة ، وكل عسير عليك يسير ، والله على كل شيء قدير .

ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الأبيات :
 أمست تهددنى بالقتل والصلب
 والقتل لى راحة والموت مقدر
 والموت أنسا لحسب أن تطسول به
 حياتسه وهو ممنوع ومقهور
 بالله روزوا محبسا قل ناصره
 فإنسى عبيدكم والعبيد مأسور

يا سادتي فارحموني في محبتكم
فكلُّ مَنْ يعشق الأحرار معذور
ثم إنه تنفس الصعداء، وبكى حتى بكت العجوز، وبعد ذلك أخذت
الورقة منه وقالت له : طب نفسا وقر عينا، فلا بد أن أبلغك مقصودك .
وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغني أيها
الملك السعيد، أن العجوز قامت وتركت تاج الملوك على النار، وتوجهت
إلى السيدة دنيا، فرأتها متغيرة اللون، من غيظها من مكتوب تاج الملوك،
فناولتها الكتاب، فازدادت غيظا، وقالت للعجوز، أما قلت لك إنه يطمع
فيها ؟

فقالت لها : وأى شيء هذا الكلب حتى يطمع فيك ؟
فقالت لها السيدة دنيا : اذهبي إليه، وقولي : « إن راسلتها بعد ذلك
ضربت عنقك » .

فقالت لها العجوز : اكتبى له هذا الكلام في مكتوب، وأنا آخذ
المكتوب معي لأجل أن يزداد خوفه .

فأخذت ورقة، وكتبت فيها هذه الأبيات :
أيا غافلا عن حادثات الطوارق

وليس إلى نيل الوصال بسابق

أترعم يا مغرور أن تدرك السُّهّا

ومما أنت للبدر المنير بلاحق

فكيف تُرجّينا وتأمّل وصلنا لتحظى بضمّ اللقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوة يوم عبوس فيه شيبُ الفارق
ثم طوت الكتاب ودفعته للعجوز ، فأخذته وانطلقت به إلى تاج
الملوك ، فلما رآها قام على قدميه وقال : لا أعدمى الله بركة قدومك .
فقلت له العجوز : خذ جواب مكتوبك .

فأخذ الورقة وقرأها ، وبكى بكاء شديدا وقال : إني اشتهى من يقتلنى
الآن ، فإن القتل أهون علىّ من هذا الأمر الذى أنا فيه .
ثم أخذ دواة وقلمًا وقرطاسًا ، وكتب مكتوبا ، ورقم هذين البيتين :
فيا منيتى لا تتبعى الهجر والجفا

فإني محبٌّ في المحبّة غارقُ

ولا تحسبني في الحياة مع الجفا

فروحى من بعد الأحبة طالِسُ

ثم طوى الكتاب ودفعه للعجوز وقال لها : قد أتعبتك بدون فائدة .
وأمر عزيزا أن يدفع لها ألف دينار ، وقال لها : يا أمى ، إن هذه الورقة
لا بد أن يعقبها كمال الاتصال ، أو كمال الانفصال .

فقلت له : يا ولدى ، والله ما أشتهى لك إلا الخير ، ومرادى أن تكون
عندك ، فإنك أنت القمر صاحب الأنوار الساطعة ، وهى الشمس
الطالعة . وإن لم أجمع بينكما فليس فى حياتى فائدة ، وأنا قد قطعت عمري
فى المكر والخداع حتى بلغت التسعين ، فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين ؟
ثم ودعته وطيب قلبه وانصرفت ، ولم تزل تمشى حتى دخلت على
السيدة دنيا ، وقد أخفت الورقة فى شعرها . فلما جلست عندها ، حكّت
رأسها وقالت : يا سيدتى عساك أن تشرحى شعرى ، فإن لى زمانا ما

دخلت الحمام .

فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها ، وحلت شعر العجوز ، وصارت تسرحه ؛ فسقطت الورقة من رأسها ، فرأتها السيدة دنيا ، فقالت : ما هذه الورقة ؟

فقالت : كأني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة ، هاتيها حتى أردّها له .

ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها ، وفهمت ما فيها ، وقالت للعجوز : هذه حيلة منك ؛ ولولا أنك ربيتني لبطشت بك في هذا الوقت . وقد بلاني الله بهذا التاجر ، وكل ما جرى لي منه من تحت رأسك . وما أدري من أي أرض جاءنا هذا ، ولم يقدر أحد من الناس أن يتجاسر على غيره . وأنا أخاف أن ينكشف أمرى وبخاصة مع رجل ما هو من جنسى ولا من أقرانى .



فأقبلت العجوز عليها وقالت : لا يقدر أحد أن يتكلم بهذا الكلام ،
خوفا من سطوتك وهيبة أهلك ، ولا بأس أن تردى له الجواب .
فقالت : يا دادتي إن هذا شيطان ، وكيف يتجاسر على هذا الكلام ، ولم
يخف من سطوة السلطان ؛ وقد تحيزت في أمره ، فإن أمرت بقتله فليس
بصواب ، وإن تركته ازداد في تجاسره .

فقالت لها العجوز : اكتبى له كتابا لعله ينزجر .
فطلبت ورقة ودواة وقلم ، وكتبت له هذه الأبيات :
طال العتاب وفرط الجهل أغراكا
فكم بخط يدي في الشّعير أنهاكا
وأنت تزداد عند النهي في طمع
ولست إلا بكم السر أرضاكا
اكنم هواك ولا تجهز به أبدا
وإن نطقفت فإني لست أوعاكا
وإن رجعت إلى ما أنت تذكره
فقد أذاك غراب الين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت مندفعا
عليك والدفن تحت الأرض مشواكا
وتترك الأهل يا مغرور في ندم
ومن سيوف الهوى قد شط منجاكا

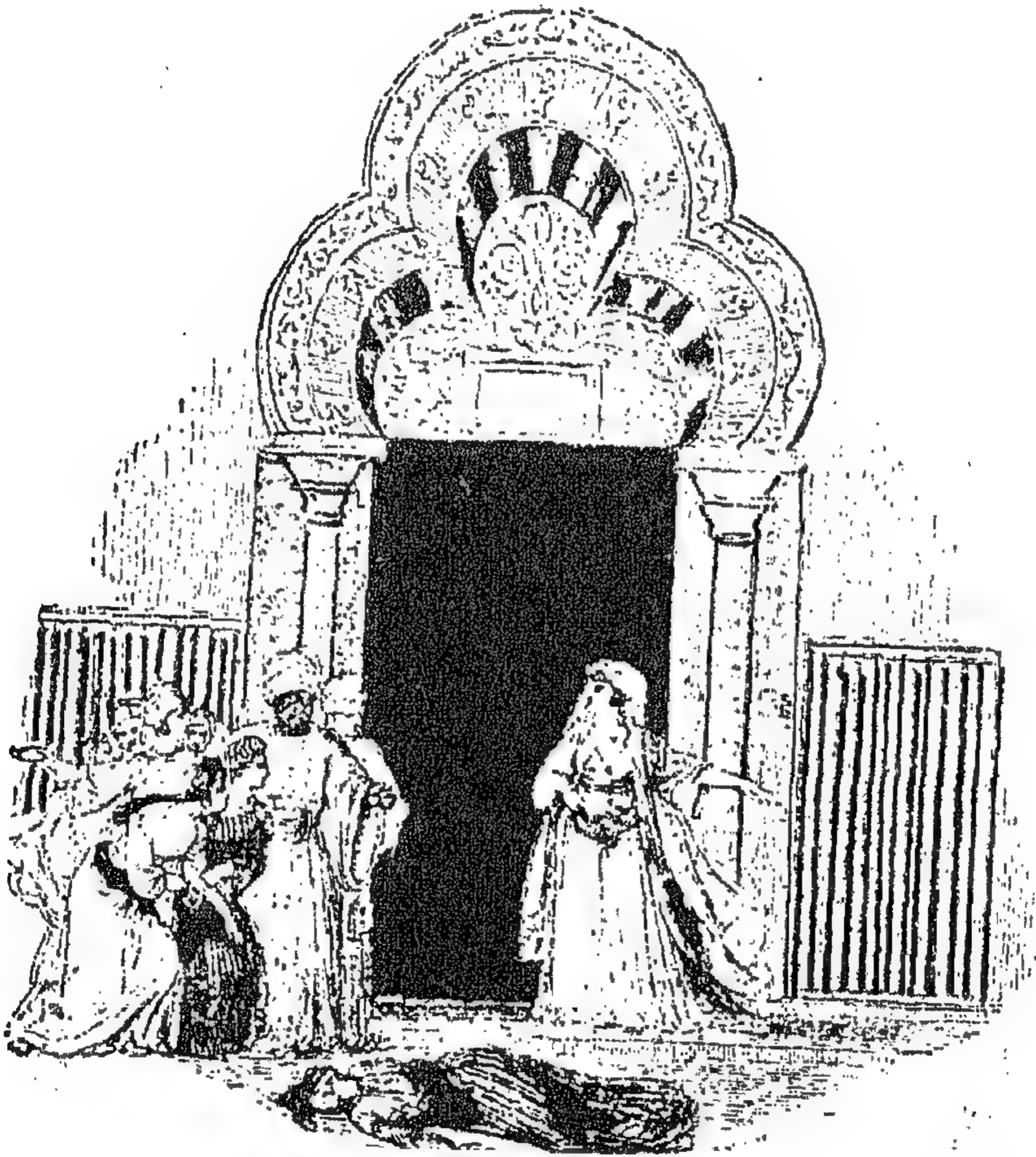
ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز ، فأخذتها وتوجهت إلى تاج الملوك
فأعطته إياها . فلما قرأها علم أنها قاسية القلب ، وأنه لا يصل إليها . فشكا
أمره إلى الوزير ، وطلب منه حسن التدبير ، فقال له الوزير : اعلم أنه ما بقى

شيء يفيد فيها غير أنك تكتب لها كتابا ، وتدعو عليها فيه .
فقال تاج الملوك : أخى يا عزيز ، اكتب لها عن لسانى مثل ما تعرف .
فأخذ عزيز ورقة ، وكتب هذه الأبيات :
يا رب بالخمسة الأشياخ تنقذنى
ومن بليت به فاجعله فى شجن
فأنت تعلم أنى فى جوى هب
وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم أرق لها فيما بليت به
وكم تجور على ضعفى وتظلمنى
أهيم فى غمرات لا انقضاء لها
ولا أرى مسعفا يا رب يسعفى
وكم أروم سلوا فى محبتها
وكيف أسلو وصبرى فى الغرام فى
يا مانعى فى الهوى طيب الوصال فهل
أمنت من نائبات الدهر والمحن
أست فى عيشة مسرورة وأنا
مغرب فىك عن أهلى وعن وطنى
ثم إن عزيزا طوى الكتاب ودفعه إلى تاج الملوك ، فلما قرأه أعجبه ،
فختمه ، ثم ناول العجوز إياه فأخذته وتوجهت به إلى أن دخلت على
السيدة دنيا فناولتها إياه ، فلما قرأته وفهمت مضمونه ، اغتاطت غيظا
شديدا ، وقالت : كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز النحس .
فصاحت على الجوارى والخدم ، وقالت : أمسكوا هذه العجوز

الماكرة، واضربوها بنعالكم.

فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها، فلما أفاقَت قالت لها: والله
يا عجوز السوء لولا خوفاً من الله تعالى لقتلتك.
ثم قالت لهم: أعيدوا الضرب.

فضربوها حتى غشى عليها، ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج
الباب؛ فسحبوها على وجهها، ورموها قدام الباب. فلما أفاقَت قامت
تمشي وتقعّد حتى وصلت إلى منزلها، وصبرت إلى الصباح. ثم قامت



ومشت حتى أتت إلى تاج الملوك ، وأخبرته بجميع ما جرى لها ، فصعب عليه ذلك ، وقال لها : يعز علي يا أمي ما جرى لك ، ولكن كل شيء بقضاء وقدر . فقالت له : طب نفسا وقر عينا ، فإني لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها ، وأوصلك إلى هذه القاسية التي أحرقتني بالضرب .

فقال لها تاج الملوك : أخبريني ما سبب بغضها للرجال ؟ فقالت : لأنها رأت منا ما أوجب ذلك .

فقال لها : وما هو ذلك المنام ؟

فقالت : إنها كانت نائمة ذات ليلة ، فرأت صيادا نصب شركا في الأرض ، وبذر حوله قمحا ، ثم جلس قريبا منه ، فلم يبق شيء من الطيور إلا وقد أتى إلى ذلك الشرك . ورأت بين الطيور حمامتين ذكرا وأنثى ؛ فبينما هي تنظر إلى الشرك إذ برجل الذكر تعلقت في الشرك ، وصار يتخبط ، فنفرت منه جميع الطيور وفرت : فرجعت إليه أنثاه وحامت عليه . ثم تقدمت إلى الشرك ، والصياد غافل ، فصارت تنقر العين التي فيها رجل الذكر ، وصارت تجذبه بمنقارها ، حتى خلصت رجله من الشرك ، وطار هو وهي . فجاء بعد ذلك الصياد ، وأصلح الشرك وقعد بعيدا عنه ، فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور ، ووقعت الأنثى في الشرك ، فنفرت عنها جميع الطيور ، ومن جملة الطير الذكر ، ولم يعد لأنثاه ؛ فجاء الصياد وأخذ الأنثى وذبحها .

فانتبهت مرعوبة من نومها ، وقالت : كل ذكر مثل هذا ما فيه خير ، والرجال جميعهم ما تندهم خيرا للنساء .

فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك ، قال لها : يا أمي أريد أن أنظر إليها نظرة واحدة ، ولو كان في ذلك ممات ، فاحتالي بحيلة حتى أنظر إليها .

فقالت : اعلم أن لها بستانا تحت قصرها ، وهو برسم فرجتها ، وأنها تخرج إليه في كل شهر مرة من باب السر ، وتقعده فيه عشرة أيام . وقد جاء أو ان خرجها إلى الفرجة ، فإذا أردت الخروج أجىء إليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفها ؛ واحرص على أنك لا تفارق البستان ، فلعلها إذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك ، فإن المحبة أعظم أسباب الاجتماع . فقال : سمعا وطاعة .

ثم قام من الدكان هو وعزيز ، وأخذوا معهما العجوز ، ومضيا إلى منزلهما ، وعرفاها به . ثم إن تاج الملوك قال لعزيز : يا أخى ليس لي حاجة بالدكان ، وقد قضيت حاجتى منه ، ووهبته لك بجميع ما فيه ، لأنك تغربت معى ، وفارقت بلادك .

فقبل عزيز منه ذلك . ثم جلسا يتحدثان ، وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله ، وما جرى له ، وصار هو يخبره بما حصل له . وبعد ذلك أقبل على الوزير ، وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك ، وقالاه : كيف العمل ؟

فقال : قوموا بنا إلى البستان .

فلبس كل واحد منهم أفخر ما عنده ، وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك ، وتوجهوا إلى البستان ؛ فأروه كثير الأشجار ، غزير الأنهار . ورأوا الخولى جالسا على الباب ، فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ؛ فناولهم الوزير مائة دينار وقال : أشتبى أن تأخذ هذه النفقة ، وتشترى لنا شيئا نأكله ، فإننا غرباء ، ومعنى هؤلاء الأولاد ، وأردت أن أفرجهم .

فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم : ادخلوا وتفرجوا ، وجميعه ملككم ، واجلسوا حتى أحضر لكم بما تأكلون .

ثم توجه إلى السوق ، ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان ، بعد أن ذهب البستاني إلى السوق . ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوى ، ووضع بين أيديهم ، فأكلوا وغسلوا أيديهم ، وجلسوا يتحدثون ، فقال الوزير : أخبرني عن هذا البستان ، هل هو لك أو أنت مستأجره ؟

فقال الشيخ : ما هو لي ، وإنما لبنت الملك السيدة دنيا .

فقال الوزير : كم لك في كل شهر من الأجر ؟

فقال : دينار واحد لا غير .

فتأمل الوزير البستان ، فرأى هناك قصرا عاليا إلا أنه عتيق ؛ فقال الوزير : أريد أن أعمل خيرا تذكرني به .

فقال : وما تريد أن تفعل من الخير ؟

فقال : خذ هذه الثلاثمائة دينار .

فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال : يا سيدى ، مهما شئت فافعل .

ثم أخذ الدنانير ، فقال له : إن شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرا .

ثم خرجوا من عنده ، وتوجهوا إلى منزلهم ، وباتوا تلك الليلة .

فلما كان الغد أحضر الوزير مبيضا ونقاشا وصانعا جيدا ، وأحضر لهم

جميع ما يحتاجون إليه من الآلات ، ودخل بهم البستان ، وأمرهم ببياض

القصر وزخرفته بأنواع النقش . ثم أمر بإحضار الذهب واللازورد ، وقال

للقاش : اعمل في صدر هذا الإيوان آدميا صيادا ، كأنه نصب شركه ،

وقد وقعت فيه حمامة ، واشتبكت بمنقارها في الشرك .

فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه ، قال الوزير : اعمل في الجانب

الآخر مثل الأول ، وصور صورة الحمامة في الشرك ، وأن الصياد أخذها

ووضع السكين على رقبتها ؛ واعمل في الجانب الآخر صورة جرح كبير
قد قنص ذكر الحمام ، وأنشب فيه مخالبه .

ففعّل ذلك ، فلما فرغ من هذه الأشياء التي ذكرها الوزير ، ودّعوا
البستاني ، ثم توجهوا إلى منزلهم وجلسوا يتحدثون .

فقال تاج الملوك لعزیز : يا أخي أنشدني بعض الأبيات ، لعل صدري
ينشرح ، وتزول عني هذه الأفكار ، أو يبرد ما بقلبي من لهيب النار .
فعند ذلك أطرب عزیز بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

جميع ما قاست العشاق من كَمَدِ

حويته مفردا حتى وهى جَلَدِي

وإن تُرْدُ مَوْرِدًا من أدمعى اتسعت

للواردين بحار الدمع في مدد

وإن تُرْدُ تنظر العشاق ما صنعت

أيدي الغرام بهم فانظر إلى جسدي

ثم أفاض العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا

ثم ادّعى لذة الدنيا فما صدقا

فإن في العشق معنى ليس يدركه

من البريئة إلا كُلُّ من عشقا

لا خُفِّفَ الله عن قلبى صيابه

بمن هويث ولا عن جَفْنِي الأرقا

ثم أطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

زعم ابن سينا في أصول كلامه
أن المحب دواؤه الألمان
ووصال مثل حبيبته من جنسه
والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوى مرة
وأعائني المقبور والإمكان
فعلمت أن الحب داء قاتل
فيه ابن سينا طُبه هذيان

فلما فرغ من شعره ، تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته ،
وقال له : قد أزلت عني بعض ما بي .

ثم قال له : إن كان يحضرك شيء من جنس هذا ، فأسمعني ما حضرك من
هذا الشعر الرقيق ، وطول الحديث .

فأطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى
بكرائم الأموال والأشباح
وظننت جهلاً أن حبك هيئ

تفنى عليه نفائس الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من

أحبته بلطائف الأمناح
فعلمت أنك لا تُسال بحيلة

ولويت رأسي تحت طي جناحي

وجعلت في عش الفسرام إقامتى
فيه غدوى دائما ورواحى

هذا ما كان من أمر هؤلاء.

وأما ما كان من أمر العجوز ، فإنها انقطعت في بيتها ، واشتقت بنت
الملك إلى الفرجة في البستان ، وهي لا تخرج إلا بالعجوز ؛ فأرسلت إليها ،
وصالحتها وطيبت خاطرها ، وقالت لها : إني أريد أن أخرج إلى البستان
لأفرج على أشجاره وأثماره ، وينشرح صدرى بأزهاره .

فقالت لها العجوز : سمعا وطاعة ، ولكن أريد أن أذهب إلى بيتى ،
وألبس أثوابى ، وأحضر عندك .

فقالت : اذهبى إلى بيتك ولا تتأخرى عنى .

فخرجت العجوز من عندها ، وتوجهت إلى تاج الملوك ، وقالت له :
تجهز والبس أفخر ثيابك ، واذهب إلى البستان ، وادخل على البستانى ،
وسلم عليه ، ثم اختف في البستان .

فقال : سمعا وطاعة .

وجعلت بينها وبينه إشارة ، ثم توجهت إلى السيدة دنيا . وبعد ذهابها
قام الوزير وعزيز ، وألبسا تاج الملوك بذلة من أفخر ملابس الملوك ،
تساوى خمسة آلاف دينار . وشدا في وسطه حياصة^(١) من الذهب ،
مرصعة بالحرير والمعادن ؛ ثم توجه إلى البستان . فلما وصل إلى باب
البستان ، وجد الخولى جالسا هناك : فلما رآه البستانى نهض له على
الأقدام ، وقابله بالتعظيم والإكرام ، وفتح له الباب ، وقال له : ادخل
وتفرج في البستان .

(١) الحياصة : الحزام .

ولم يعلم البستاني أن بنت الملك ستدخل البستان في هذا اليوم .
فلما دخل تاج الملوك ، لم يلبث إلا مقدار ساعة ، وسمع ضجة ، فلم يشعر
إلا والخدم والجواري خرجوا من باب السر . فلما رأهم الخولي ذهب إلى
تاج الملوك ، وأعلمه بمجيئها ، وقال له : يا مولاي ، كيف يكون العمل ،
وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا ؟

فقال : لا بأس عليك ، فإني أختفى في بعض مواضع البستان .
فأوصاه البستاني بغاية الاختفاء ، ثم تركه وراح . فلما دخلت بنت
الملك هي وجواريا والعجوز في البستان ، قالت العجوز في نفسها :
« متى كان الخدم معنا ، فإننا لا ننال مقصودنا » . ثم قالت لابنة الملك :
يا سيدتي ، إني أقول لك شيئا فيه راحة لقلبك .
فقالت السيدة دنيا : قولي ما عندك .

فقالت العجوز : يا سيدتي ، إن هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم في هذا
الوقت ، ولا ينشرح صدرك ما داموا معنا ، فاصرفهم عنا .
فقالت السيدة دنيا : صدقت .

ثم صرفتهم . وبعد قليل تمشت ، فصار تاج الملوك ينظر إليها ، وإلى
حسنها وجمالها ، وهي لا تشعر بذلك ؛ وكلما نظر إليها يغشى عليه مما يرى
من بارع حسنها ، وصارت العجوز تسارقها الحديث ، إلى أو أوصلتها إلى
القصر الذي أمر الوزير بنقشه . ثم دخلت ذلك القصر ، وتفرجت على
نقشه ، وأبصرت الطيور والصيد والحمام ، فقالت : سبحان الله ، إن هذه
صفة ما رأيته في المنام .

وصارت تنظر إلى الطيور والصيد والشرك وتتعجب ، ثم قالت :
يا دادي ، إني كنت ألوم الرجال وأبغضهم ، ولكن انظري الصيد كيف

ذبح الطائر الأنثى ، وتخلص الذكر وأراد أن يجيء إلى الأنثى ويخلصها ،
فقابلته الجارح وافترسه ؟

وصارت العجوز تتجاهل وتشغلها بالحديث ، إلى أن قربا من المكان
المختفى فيه تاج الملوك ؛ فأشارت إليه العجوز أن يتمشى تحت شبابيك
القصر . فبينما السيدة دنيا كذلك ، إذ لاحت منها التفاتة فرأته ، وتأملت
جماله ، وقده واعتداله ، ثم قالت : يا دادتى ، من أين هذا الشاب المليح ؟
فقالت : لا أعلم به ، غير أنى أظنه ولد ملك عظيم ، فإنه بلغ من الحسن
النهاية ، ومن الجمال الغاية .

فهامت به السيدة دنيا ، وانحلت عرا عزائمها ، وانبهر عقلها من حسنه
وجماله ؛ فقالت للعجوز : يا دادتى ، إن هذا الشاب مليح .

فقالت لها العجوز : صدقت يا سيدتى .

ثم إن العجوز أشارت إلى ابن الملك أن يذهب إلى بيته ، وقد التفت به
نار الغرام ، وزاد به الوجد والهيام ، فسار وودع الخولى ، وانصرف إلى
منزله ، ولم يخالف العجوز ، وأخبر الوزير وعزيزا بأن العجوز أشارت إليه
بالانصراف ، فصارا يصبرانه ويقولان له : لولا أن العجوز تعلم أن فى
رجوعك مصلحة ، ما أشارت عليك به .

هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز .

وأما ما كان من أمر ابنة الملك السيدة دنيا ، فإنها غلب عليها الغرام ، وزاد بها
الوجد والهيام ، وقالت للعجوز : أنا ما أعرف اجتماعى بهذا الشاب إلا منك .
فقالت العجوز : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أنت لا تريدين
الرجال ، فكيف حلت بك من عشقه الأوجال ؟ ولكن والله ما يصلح
لشبابك إلا هو .

فقلت السيدة دنيا : يادادتي ، أسعفيني باجتماعي به ، ولك عندى ألف دينار ، وخلعة بألف دينار . وإن لم تسعفيني بوصاله ، فأني ميتة لا محالة . فقلت العجوز : امضي أنت إلى قصرك ، وأنا أتسبب في اجتماعكما ، وأبذل روحي في مرضاتكما .

ثم إن السيدة دنيا توجهت إلى قصرها ، وتوجهت العجوز إلى تاج الملوك ؛ فلما رآها نهض لها على الأقدام ، وقابلها بإعزاز وإكرام ، وأجلسها إلى جنبه ، فقلت له : إن الحيلة قد تمت .

وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا ، فقال لها : متى يكون الاجتماع ؟

قلت : في غد .

فأعطاهما ألف دينار ، وحلة بألف دينار ، فأخذتهما وانصرفت . وما زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا ، فقلت لها : يادادتي ، أما عندك من خبر الحبيب شيء .

فقلت : قد عرفت مكانه ، وفي غد أكون به عندك .

ففرحت السيدة دنيا بذلك ، وأعطتها ألف دينار ، وحلة بألف دينار ، فأخذتهما وانصرفت إلى منزلها ، وباتت فيه إلى الصباح . ثم خرجت وتوجهت إلى تاج الملوك ، وألبسته لبس النساء ، وقالت له : امش خلفي ، وتمايل في خطواتك ، ولا تستعجل في مشيتك ، ولا تلتفت إلى من يكلمك .

وبعد أن أوصت تاج الملوك بهذه الوصية ، خرجت وخرج خلفها ، وهو في زى النسوان ، وصارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع . ولم تزل ماشية وهو خلفها ، حتى وصلا إلى باب القصر ، فدخلت وهو وراءها ،

وصارت تخترق الأبواب والدهاليز ، إلى أن جاوزت به سبعة أبواب .
ولما وصلت إلى الباب السابع قالت لتاج الملوك قو قلبك ، وإذا زعقت
عليك وقلت لك : « يا جارية اعبرى » . فلا تتوان فى مشيتك وهرول ،
فإذا دخلت الدهليز ، فانظر إلى شمالك ترّ إيوانا فيه أبواب ، فعد خمسة
أبواب ، وادخل الباب السادس ، فإن مرادك فيه .

فقال تاج الملوك : وأين تروحين أنت ؟

فقالت له : ما أروح موضعا ، غير إلى ربما أتأخر عنك ، وأتحدث مع

الخادم الكبير

ثم مشيت وهو خلفها ، حتى وصلت إلى الباب الذى فيه الخادم الكبير ؛
فرأى معها تاج الملوك فى صورة جارية ، فقال بها : ما شأن هذه الجارية
التي معك ؟

فقالت له : هذه جارية ، قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الأشغال ،
وتريد أن تشتريها .

فقال لها الخادم : أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ، ولا يدخل أحد حتى
أفتشه ، كما أمرنى الملك .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الخادم لما قال للعجوز : « لا يدخل أحد حتى أفتشه » . قالت العجوز له ، وقد أظهرت الغضب : أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب ، فإن كان حالك قد تغير ، فإنى أعلمها بذلك ، وأخبرها أنك تعرضت لجارتها .

ثم صاحت على تاج الملوك وقالت له : اعبرى يا جارية . فعند ذلك عبر إلى داخل الدهليز كما أمرته ، وسكت الخادم ولم يتكلم . ثم إن تاج الملوك عد خمسة أبواب ، ودخل الباب السادس ، فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظاره . فلما رآته عرفته ، فضمته إلى صدرها ، وضمها إلى صدره ، ثم دخلت العجوز عليهما ، واحتالت على صرف الجوارى ، ثم قالت السيدة دنيا للعجوز : كوني بوابة .

ثم اختلت هى وتاج الملوك ، ولم يزالا فى ضم وعناق إلى وقت السحر . ولما أصبح الصباح أغلقت العجوز عليهما الباب ، ودخلت مقصورة أخرى ، وجلست على جرى عاداتها ، وأتت إليها الجوارى ، فقضت حوائجهن ، وصارت تحدثهن ، ثم قالت للجوارى : اخرجن الآن من عندى ، فإنى أريد أن أنشرح وحدى .

فخرجت الجوارى من عندها ، ثم إنها أتت إلى العاشقين ، ومعها شئ من الأكل ، فأكلوا وأخذوا فى السمر إلى وقت السحر ؛ فأغلقت عليهما مثل اليوم الأول . ولم يزالا على ذلك مدة شهر كامل .



هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا .
وأما ما كان من أمر الوزير وعزيز ، فإنهما لما توجه تاج الملوك إلى قصر
بنت الملك ، ومكث تلك المدة ، علما أنه لا يخرج منه أبدا ، وأنه هالك
لا محالة . فقال عزيز : يا والدى ، ماذا نصنع ؟
فقال الوزير : إن هذا الأمر مشكل ، وإن لم نرجع إلى أبيه ونعلمه ، فإنه
يلومنا على ذلك .

ثم تجهزا في الوقت والساعة ، وتوجها إلى الأرض الخضراء
والعمودين وتحت الملك سليمان شاه ؛ وسارا يقطعان الأودية في الليل

والنهار، إلى أن دخلا على الملك سليمان شاه، وأخبراه بما جرى لولده، وأنه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا به خبرا. فعند ذلك قامت عليه القيامة، واشتدت به الندامة، وأمر أن ينادى في مملكته بالجهاد؛ ثم أبرز العساكر إلى خارج مدينته، ونصب لهم الخيام، وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الأقطار، وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله وإحسانه. ثم سار في عسكر سدّ الأفق، متوجها في طلب ولده تاج الملوك.

هذا ما كان من أمر هؤلاء.

وأما ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا، فإنهما أقاما على حالهما نصف سنة، وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما بعضا. وزاد على تاج الملوك العشق والهيام، والوجد والغرام، حتى أفصح لها عن الضمير، وقال لها: اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد، أني كلما أقمت عندك ازددت هياما، ووجدا وغراما، لأنني ما بلغت المرام بالكلية.

فقالت له: وماذا تريد يا نور عيني وثمره فؤادي؟ إن شئت غير الضمير والعناق، فافعل الذي يرضيك، وليس لله فينا شريك.

فقال: ليس مرادى هكذا، وإنما مرادى أن أخبرك بحقيقتي. فاعلمي أني لست بتاجر، بل أنا ملك ابن ملك، واسم أبي الملك الأعظم سليمان شاه، الذي أنفذ الوزير رسولا إلى أبيك ليخطبك لي، فلما بلغك الخبر مارضيت.

ثم إنه قص عليها قصته من الأول إلى الآخر. وليس في إعادة إفادة. وقال لها: وأريد الآن أن أتوجه إلى أبي، ليرسل رسولا إلى أبيك، ويخطبك منه ونستريح.

فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا ، لأنه وافق غرضها ؛ ثم باتا على هذا الاتفاق .

واتفق للأمر المقدور ، أن النوم غلب عليها في تلك الليلة من دون الليالي ، واستمررا إلى أن طلعت الشمس ؛ وفي ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته ، وبين يديه أمراء دولته ، إذ دخل عليه عريف الصياغ ، وبيده حق كبير ؛ فتقدم وفتح به بين يدي الملك ، وأخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة ألف دينار ، لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد ، مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الأقطار . فلما رآها الملك تعجب من حسنها ، والتفت إلى الخادم الكبير الذي جرى له مع العجوز ما جرى ، وقال له : يا كافور ، خذ هذه العلبة وامض بها إلى السيدة دنيا .

فأخذها الخادم ، ومضى حتى وصل إلى مقصورة بنت الملك . فوجد بابها مغلقا ، والعجوز نائمة على عتبته ، فقال الخادم : إلى هذه الساعة وأنتم نائمون ؟

فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها ، وخافت منه وقالت له : اصبر حتى آتيك بالمفتاح ، ثم خرجت على وجهها هاربة . هذا ما كان من أمرها .

وأما ما كان من أمر الخادم فإنه عرف أنها مرتابة ، ففتح الباب ودخل المقصورة ، فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك ، وهما نائمان . فلما رأى ذلك تحير في أمره ، وهم أن يعود إلى الملك ، فانتبهت السيدة دنيا ، فوجدته ، فتغيرت واصفر لونها ، وقالت له : يا كافور ، استر ما ستر الله . فقال : أنا ما أقدر أن أخفي شيئا عن الملك .

ثم أقفل الباب ورجع إلى الملك ، فقال له : هل أعطيت العلبة لسيدتك ؟

فقال الخادم : خذ العلبة ها هي ذى وأنا لا أقدر أن أخفى عنك شيئا ، اعلم
أنى رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها فى فراش واحد وهما متعانقان .
فأمر الملك بإحضارهما ، فلما حضرا بين يديه قال لهما : ما هذه
الفعال ؟

واشتد به الغيظ ، فأخذ سيفاً وهم أن يضرب تاج الملوك ، فرمت
السيدة دنيا بنفسها عليه ، وقالت لأبيها : اقتلنى قبله .

فنهزها الملك ، وأمرهم أن يمضوا بها إلى حجرتها ، ثم التفت إلى تاج
الملوك وقال له : ويلك من أين أنت ، ومن أبوك ، وما جسرك على ابنتى ؟
فقال تاج الملوك : اعلم أيها الملك إنك إن قتلتنى هلكت ، وندمت أنت
ومن فى مملكتك .

فقال له الملك : ولم ذلك ؟

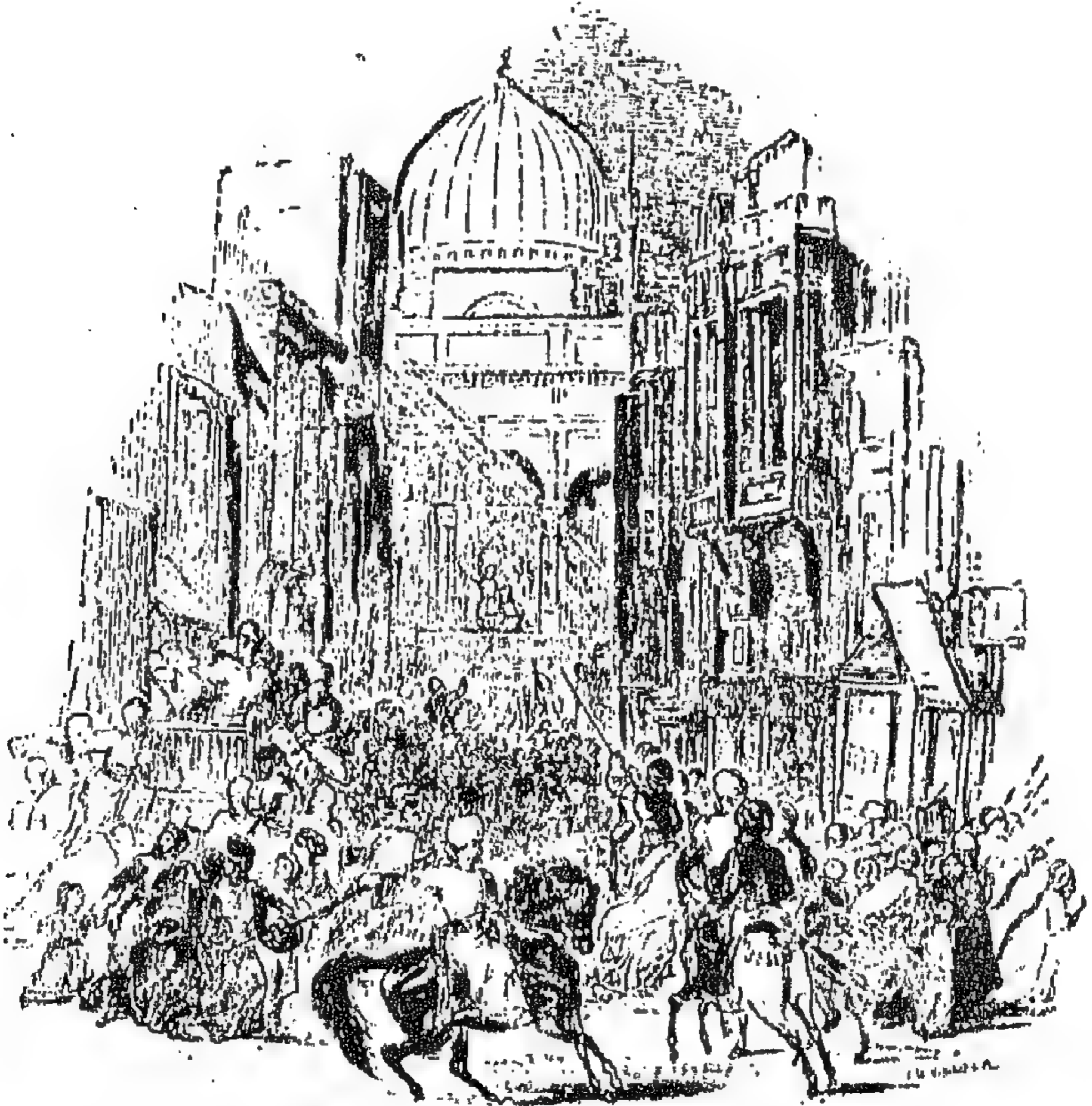
فقال : اعلم أتنى ابن الملك سليمان شاه ، وما تدرى إلا وقد أقبل عليك
بخيله ورجاله .

فلما سمع الملك شهر مان ذلك الكلام ، أراد أن يؤخر قتله ويضعه فى
السجن حتى ينظر صحة قوله ، فقال له وزيره : يا ملك الزمان ، الرأى
عندى أن تعجل بقتل هذا الولد ، فإنه تجاسر على بنات الملوك .
فقال للسياف : اضرب عنقه ، فإنه خائن .

فأخذه السياف وشد وثاقه ، ورفع يده وشاور الأمراء أولاً وثانياً ،
وقصد بذلك أن يكون فى الأمر توان ، فصاح به الملك وقال : إلى متى
تشاور ؟ إن شاورت مرة أخرى ضربت عنقك .

فرفع السياف يده حتى بان شعر إبطه ، وأراد أن يضرب عنقه .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن السياف رفع يده ، وأراد أن يضرب عنقه ، وإذا بزعمات عالية ، والناس أغلقوا الدكاكين ، فقال للسياف : لا تعجل .
ثم أرسل من يكشف له عن الخبر . فمضى الرسول ، ثم عاد إليه وقال له : رأيت عسكريا كالبحر العجاج ، المتلاطم بالأمواج ، وخيلهم فى



ركض ، وقد ارتجبت لهم الأرض ، وما أدري خبرهم .
فاندحش الملك ، وخاف على ملكه أن ينزع منه ، ثم التفت إلى وزيره
وقال له : أما خرج أحد من عساكرنا إلى هذا العسكر ؟
فما أتم كلامه إلا ووجهه دخلوا عليه ، ومعههم رسل الملك القادم ،
ومن جملتهم الوزير ؛ فابتدأه بالسلام ، فنهض لهم قائما ، وقربهم ، وسأهم
عن شأن قدومهم ، فنهض الوزير من بينهم ، وتقدم إليه وقال له : اعلم أن
الذي نزل بأرضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ، ولا مثل السلاطين
السالفين .

فقال له الملك : ومن هو ؟

قال الوزير : هو صاحب العدل والأمان ، الذي سارت بعلو همته
الركبان ، السلطان سليمان شاه ، صاحب الأرض الخضراء والعمودين
وجبال أصفهان . وهو يحب العدل والإنصاف ، ويكره الجور
والاعتساف ، ويقول لك : إن ابنه عندك ، وفي مدينتك ؛ وهو حشاشة
قلبه ، وثمره فؤاده . فإن وجدته سالما فهو المقصود ، وأنت المشكور
المحمود . وإن كان قد فقد من بلادك ، أو أصابه شيء ، فأبشر بالدمار ،
وخراب الديار ؛ لأنه يُصير بلدك قفرا تنعق فيه البوم والغربان ، وهأنذا قد
أبلغتك الرسالة والسلام .

فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول ، انزعج فؤاده ،
وخاف على مملكته ، وصاح على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه ،
فلما حضروا قال لهم : ويلكم ! انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام .

وكان تحت يد السيف ، وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفرع . ثم
إن الرسول لاحت منه التفاتة ، فوجد ابن ملكه على نطع الدم ، فعرفه ،

وقام ورمى بنفسه عليه ، وكذلك بقية الرسل . ثم تقدموا وحلوا وناقوه ، وقبلوا يديه ورجليه ؛ ففتح تاج الملوك عينيّه ، فعرف وزير والده ، وعرف صاحبه عزيزا ، فوقع مغشيا عليه من شدة فرحه بهما . ثم إن الملك شهرمان صار متحيزا في أمره ، وخاف خوفا شديدا لما تحقق أن مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام ، فقام وتمشى إلى تاج الملوك وقبل رأسه ، ودمعت عيناه ، وقال له : يا ولدى لا تؤاخذ المسىء بفعله ، فارحم شيتى ، ولا تخرب مملكتى .

فدنا منه تاج الملوك ، وقبل يده ، وقال له : لا بأس عليك ، وأنت عندي بمنزلة والدى ، ولكن الحذر أن يصيب محبوبتى دنيا شىء . فقال : لا تخف عليها ، فما يحصل لها إلا السرور .

وصار الملك يعتذر إليه ، ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ، ووعد به بالمال على أن يخفى عن الملك ما رآه . ثم بعد ذلك أمر كبار دولته أن يأخذوا تاج الملوك ، ويذهبوا به إلى الحمام ، ويلبسوه بذلة من خيار ملابس الملك ، ويأتوا به بسرعة . ففعلوا ذلك ، وأدخلوه الحمام ، وألبسوه البذلة التى أفردها له الملك شهرمان ، ثم أتوا به إلى المجلس . فلما دخل على الملك شهرمان ، وقف له هو وجميع أرباب دولته ، وقام الجميع في خدمته . ثم إن تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له ؛ فقال له الوزير وعزيز : ونحن فى تلك المدة مضينا إلى والدك ، فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ، ولم تخرج ، والتبس علينا أمرك . فحين سمع بذلك جهز العساكر ، ثم قدمنا هذه الديار ، وكان فى قدومنا الفرح والسرور .

فقال لهما : لا زال الخير يجرى على أيديكما أولا وآخرا .

وكان الملك شهرمان فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا ،

فوجدتها تبكى على تاج الملوك ، وأخذت سيفاً وركزت قبضته على الأرض ، وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها ، وانحنت على السيف ، وصارت تقول : لا بد أن أقتل نفسى ، ولا أعيش بعد حبيبى .

فلما دخل عليها ، ورآها على هذه الحال ، صاح بها ، وقال لها : يا سيدة بنات الملوك ، لا تفعلى ، وارحمى أباك وأهل بلدك .

ثم تقدم إليها وقال لها : حاشاك أن يصيب والدك سوء بسببك .
ثم أعلمها بالقصة ، وأن محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها ، وقال لها : إن أمر الخطبة والزواج مفوض إلى رأيك .

فتبسمت وقالت له : أما قلت لك إنه ابن سلطان ؟ فأنا أخليه يصلبك على خشبة لا تساوى درهمين .

فقال لها : بالله عليك ارحمى أباك .

فقالت له : رح إليه وائتنى به .

فقال لها : على الرأس والعين .

ثم رجع من عندها سريعاً ، ودخل على تاج الملوك ، وأسر إليه بهذا الكلام . ثم قام معه وتوجهوا إليها ، فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام أبيها ، وتعلقت به ، وقالت له : أوحشتنى .

ثم التفتت إلى أبيها وقالت له : هل يفرط أحد فى مثل هذا الشاب المليح ، وهو ملك ابن ملك ؟

فعند ذلك خرج الملك شهرمان ، ورد الباب عليهما ، ومضى إلى وزير أبى تاج الملوك ورسله ، وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه ، بأن ولده بخير وعافية ، وهو فى الذ عيش .

ثم إن السلطان شهرمان أمر بإخراج الضيافات والعلوفات إلى عساكر

السلطان سليمان شاه ، والد تاج الملوك ، وأمر بإخراج مائة جواد ، ومائة هجين ، ومائة سرّية ، ومائة عبد ، ومائة جارية ؛ وأرسل الجميع إليه هدية . وبعد ذلك توجه هو وأرباب دولته وخواصه ، حتى صاروا في ظاهر المدينة . فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه ، تمشى خطوات إلى لقائه ، وكان الوزير وعزيز أعلامه بالخبر ، فقال : الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه . ثم إن الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن ، وأجلسه بجانبه على السرير ، وصارا يتحدثان معا . ثم قُدم الطعام ، فأكلوا حتى اكتفوا ، ثم قدمت الحلويات . ولم يمض إلا قليل حتى جاء تاج الملوك ، وقد عليه بلباسه وزينته ؛ فلما رآه والده قام له وقبله ، وقام له جميع من حضر ، وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون . فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان : إني أريد أن أكتب كتاب ولدى على ابنتك على رءوس الأشهاد . فقال له : سمعا وطاعة .

ثم أرسل الملك شهرمان إلى القاضى والشهود ، فحضروا وكتبوا الكتاب ، وفرح العساكر بذلك . وشرع الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ، ثم قال تاج الملوك لوالده : إن عزيزا رجل من الكرام ، وقد خدمنى خدمة عظيمة ، وتعب وسافر معى ، وأوصلنى إلى بغيتى ، ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى ، وأمضى معنا سنتين وهو أمشت من بلاده ؛ فالمقصود أننا نهيبه له تجارة ، لأن بلاده قريبة .

فقال له والده : نعم ما رأيت .

ثم هيئوا له مائة حمل من أغلى القماش ، وأقبل عليه تاج الملوك وودعه ، وقال له : يا أخى ، اقبل هذه على سبيل الهدية .

فقبلها منه ، وقبل الأرض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه .

ثم ركب تاج الملوك ، وسافر مع عزيز قدر ثلاثة أميال ، وبعدها أقسم عليه
عزيز أن يرجع ، وقال : لولا والدتي ما صبرت على فراقك ، فبالله عليك لا
تقطع أخبارك عني .

ثم ودعه ومضى إلى مدينته ، فوجد والدته بنت له في وسط الدار قبرا ، وصارت تزوره ، ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر ، وهي تفيض دمع العين ، وتنشد هذين البيتين :

يا الله يا قبر هل زالت محاسنـــــــــــــــه

وهل تغير ذاك المنظر السَّخِيرُ
يا قبر ما أنت بستان ولا فلك

فكيف يجمع فيك الزهر والقمر
ثم صعدت الزفرات ، وأنشدت هذه الأبيات :

مالي مررت على القبور مسلما

قبر الحبيب فلم يردَّ جوابي؟
قال الحبيب: وكيف ردَّ جوابيكم
وأنا رهين جنسادل وتسراب؟

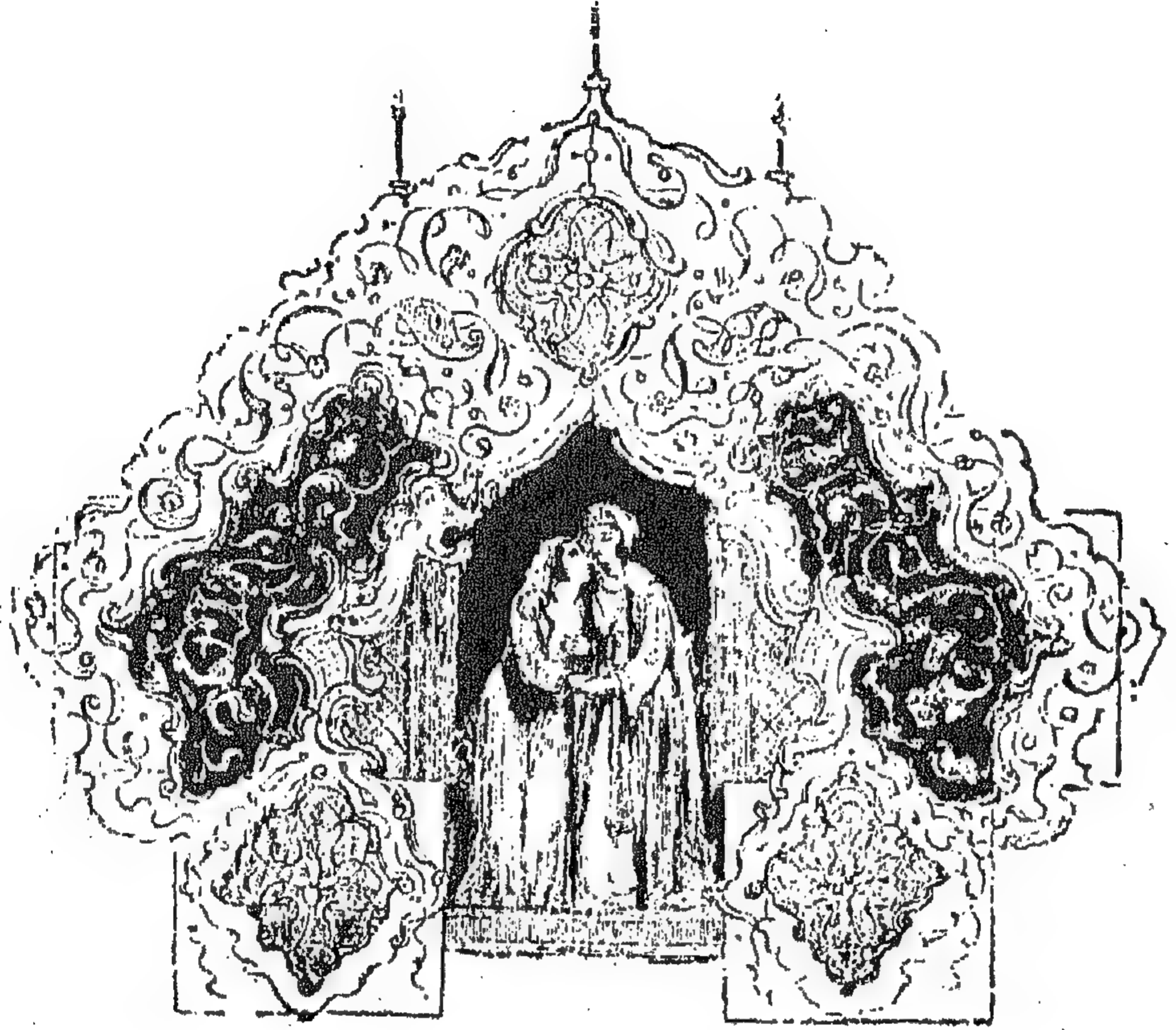
أكل الشراب محامسي فنسيتكم
وحجبت عن أهلي وعن أحيائي

فما أتممت شعرها إلا وعزيز داخل عليها . فلما رآته قامت إليه واحتضنته ، وسأله عن سبب غيابه ؛ فحدثها بما وقع له من أوله إلى آخره ، وأنها نازح الملوك أعطاه من المال والأقمشة مائة حمل ؛ ففرحت بذلك ، وأقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتمالة التي خصته .

وأما ما كان من أمر تاج الملوك ، فإنه دخل بمحبوبته السيدة دنيا . ثم إن الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيه ، فأحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا ، وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لأجل الوداع ، فأقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع . وما زال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين في الليل والنهار ، حتى أشرفوا على بلادهم ، وزينت لهم المدينة . وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٧

(فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الملك سليمان شاه لما وصل إلى بلده ، جلس على سرير مملكته ، وابنه تاج الملوك في جانبه ؛ ثم أعطى وأطلق من كان في الحبوس . ثم أقام لولده عرسا ثانيا ، واستمرت به المغاني والملاهي شهرا كاملا ، وازدحمت المواشط على السيدة دنيا ، وهي لا تمل من الجلاء ، وهن لا يملن من النظر إليها . ثم دخل تاج الملوك على زوجته ، بعد أن اجتمع بأبيه وأمه ، وما زالوا في ألد عيش وأهناء .



القصة التالية

عمر النعمان

القصص النبوية

الحلقة الأولى - قصص الأنبياء :

لأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لقد كتبت هذه القصص بأسلوب مشرق جميل ، وفى متابعة للنص القرآنى البليغ ، كما روعى فيها التنسيق الفنى الذى يرمى فى الأطفال والناشئة حاسة الذوق الفنى القصصى . كما يرمى فيهم الشعور الدينى الذى يجب أن يقوى معهم منذ اللحظة التى يقرعون فيها ، ليشبوا وفيهم ذلك الوازع الدينى الكبير . وقد حرص المؤلف على ضبط القصص بالشكل التام وبالحرف الكبير حتى تستقيم الألسنة متى تعودت نصوصا أدبية مضبوطة .

الحلقة الأولى : ثمانى عشرة قصة .

(بالاشتراك مع الأستاذ سيد قطب)

- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| (١) آدم وحواء . | (١٠) مدين وشعيب . |
| (٢) قابيل وهابيل . | (١١) موسى والعصا . |
| (٣) سفينة نوح . | (١٢) موسى والألواح . |
| (٤) إرم ذات العماد . | (١٣) موسى والرجل الصالح . |
| (٥) ناقة صالح . | (١٤) داود . |
| (٦) إبراهيم يبحث عن الله . | (١٥) سليمان وبلقيس . |
| (٧) فداء إسماعيل . | (١٦) عيسى ابن مريم . |
| (٨) يوسف الصديق . | (١٧) أهل الكهف . |
| (٩) تحقيق الرؤيا . | (١٨) قدرة الله . |

الحلقة الثانية - قصص السيرة :

وهذه الحلقة الثانية من القصص الديني . . أنها تجار لنا سيرة النبي عليه السلام في أروع معارضها ، وأجمل مشاهداتها . فتعود بنا إلى أبوة النبي ومولده وأرضاع حليلة السعدية له ، وهي لا تعلم أنها كانت ترضع خاتم الأنبياء . . وفيها يتم النبي وكيف أن هذا اليتيم استظلت الإنسانية كلها بظله وآوت منه إلى ركن شديد . . وفيها فوق ذلك من جهاد النبي ، وصبره على البلاء ، وهجرته وأيام شدته وغزواته وفتحه المبين ، ما تخشع له النفوس المؤمنة ، ونظامه من له القلوب المصدقة .

إن مشاهد السيرة النبوية الكريمة ، وروائع مواقفها مجلوة هنا في أربع وعشرين قصة ، تبتدىء بهاشم بن عبد مناف ، وتختتم بالحنظلق النبي بالرفيق الأعلى ، بعد أن بلغ الرسالة ، وأرسى الأساس على أُساسٍ واطيد .

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) هاشم بن عبد مناف . | (١٣) الهجرة . |
| (٢) عبد المطلب جد النبي . | (١٤) غزوة بدر . |
| (٣) عبد الله وآمنة . | (١٥) غزوة أحد . |
| (٤) مولد الرسول . | (١٦) الخندق . |
| (٥) حليلة السعدية . | (١٧) صلح الحديبية . |
| (٦) اليتيم . | (١٨) الدعوة إلى الإسلام . |
| (٧) خديجة بنت خويلد . | (١٩) فتح مكة . |
| (٨) الوحي . | (٢٠) غزوة حنين . |
| (٩) المسلمون الأوائل . | (٢١) غزوة تبوك . |
| (١٠) الاضطهاد . | (٢٢) حجة الوداع . |
| (١١) الهجرة إلى الحبشة . | (٢٣) النبي الصالح . |
| (١٢) أيام الشدة . | (٢٤) وفاة الرسول . |

الحلقة الثالثة - قصص الخلفاء الراشدين :

ونمضى فى هذه المجموعة أو تمضى بنا الأحداث بعد وفاة الرسول عليه السلام الى قصص الخلفاء الراشدين . ان قافلة الزمان ماضية فى طريقها ، وهؤلاء هم صحابة النبى بعد وفاته . وقد صار المسلمون بلا حاكم يحكمهم ، ان الشمس بقيت بعد موت النبى هى الشمس ، والحياة هى الحياة ، والناس هم الناس كما كانوا وسيكونون فى كل زمان ومكان . . . لئلا كان هناك المهاجرون ، وهناك الأنصار ، فمن أى الطائفتين يكون خليفة رسول الله ؟ لئلا ينزع عمر بن الخطاب وأبو عبيدة أبا بكر الصديق اذ كان ثنى اثنين اذ هما فى الفار ، كما كان خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام فى الصلاة . .

وهكذا بدأ قصص الخلفاء بقصة الخليفة الأول ، وتمضى بقية قصص الخلفاء الأربعة ، بما فيها من أحداث وفتن بين المسلمين ، انتهت بمقتل الامام على ، الشهيد أبى الشهيد . .

- | | | | |
|--------|---------------------------|--------|------------------------|
| (١) | أبو بكر خليفة الرسول | (١١) | وفاة عمر |
| (٢) | أبو بكر يقاتل مانع الزكاة | (١٢) | عثمان بن عفان |
| (٣) | أبو بكر وخالد بن الوليد | (١٣) | فتح افريقية |
| (٤) | وفاة أبى بكر الصديق | (١٤) | عثمان وثورة الأمصار |
| (٥) | عمر أمير المؤمنين | (١٥) | مقتل عثمان |
| (٦) | فتح دمشق | (١٦) | الامام على بن أبى طالب |
| (٧) | عمر وسعد بن أبى وقاص | (١٧) | وقعة الجمل |
| (٨) | عمر فى بيت المقدس | (١٨) | وقعة صفين |
| (٩) | فتح مصر | (١٩) | التحكيم |
| (١٠) | عمر والرعية | (٢٠) | مقتل الامام . |

الحلقة الرابعة - العرب في أوربا :

وهنا نمضى مع الزمن ومع أحداث التاريخ الاسلامى ، حيث تحركت همم المسلمين الى منا وراء البحار ، وحيث ضاقت بهم مسارب الصحراء فى الجزيرة العربية وفى شمالى افريقية ، فتطلعوا الى عوالم جديدة وأرض جديدة يرغبون عليها راية الاسلام ، ولقد عبروا العدو من الشاطئء الافريقى الى الشاطئء الأوربى ، وهم ينصبون كأنهم أمواج البحر المتلاطم ، وطارق بن زياد يصيح فيهم صيحته المشهورة « أين المفر ، البحر وراءكم ، والعدو أمامكم » .

ولم يلبث هذا العدو أن انهزم أمام الايمان القوى ، والقوة الروحية الدافقة ، والكتلة العربية المسلمة المترامية ، وكان للمسلمين هناك منك ظل بضعة قرون .

- | | | | |
|--------|--------------------------|--------|---------------------------|
| (١) | الرحى والطلسم | (١٣) | العرب فى ضقلية |
| (٢) | رؤيا الرسول | (١٤) | عبد الرحمن وطروب |
| (٣) | ملك الأندلس | (١٥) | العرب فى ايطاليا |
| (٤) | طارق بن زياد | (١٦) | عبد الرحمن الناصر |
| (٥) | موسى بن نصير | (١٧) | الحكم بن الناصر |
| (٦) | نهاية موسى بن نصير | (١٨) | الأميرة صبيح |
| (٧) | العرب فى فرنسا | (١٩) | المنصور بن أبى عامر |
| (٨) | شارل مارتل | (٢٠) | ولادة ابن زيدون |
| (٩) | صقر قريش | (٢١) | الجاهلية الثانية |
| (١٠) | عودة العرب الى غزو فرنسا | (٢٢) | شقاق |
| (١١) | الحكم بن هشام | (٢٣) | انتصار الأسبان |
| (١٢) | العرب فى كريت | (٢٤) | آجر أيام العرب فى الأندلس |

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| ١ - التاجر والعفريت | ٨ - العاشق والمعشوق |
| ٢ - الصياد والعفريت | ٩ - الطيور والحيوانات |
| ٣ - الحمال والبنات | ١٠ - وابن آدم |
| ٤ - نور الدين وشمس الدين | ١١ - قمر الزمان |
| ٥ - الخياط والأحدب | ١٢ - الأجدد والأسعد |
| ٦ - أنيس الجليس | ١٣ - نعم ونعمة |
| ٧ - غانم وقوت القلوب | |

دار مصر للطباعة

